الهدهد من هنا

مجموعة قصصية

د. محمد عبده يماني

الطبعة الأولى
1432هـ/2011م

من إصدارات
النادي الأدبي الثقافي بجدة
المملكة العربية السعودية

152

ح

النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٤٣٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

يماني، محمد عبده
مجموعة قصصية / محمد عبده يماني – جدة، ١٤٣٢هـ
.. ص ، .. سم.
ردمك: ٤-٧٠-٧٥٧-٩٩٦٠-٩٧٨
١ – القصص القصيرة العربية – السعودية أ. العنوان
ديوي ٨١٣,٠١٩٥٣١ ١٤٣٢/٦٦٨٧

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٦٦٨٧
ردمك: ٤-٧٠-٧٥٧-٩٩٦٠-٩٧٨

صدر هذا الكتاب
بمناسبة احتفاء النادي الأدبي الثقافي بجدة
بمعالي الدكتور محمد عبده يماني
بتاريخ 1432/7/5هـ الموافق 2011/6/7م

الإهـداء

إلى من أخلصتْ لي فخلصْتُ للبحثِ، وتفرَّغتْ لراحتي ففرغْتُ للعَمل، فكان لها في كل ما أنتجْتُ فضل إسهام وكريم معونة. إلى زوجتي الوفيَّة وإلى الأبنَاء الأعزاء الذين أرجو لهم أسْمَى الأمل بما أقدم من الأسوةِ في صالحِ العمل..

.. أهْدِي هَدَى هذا الكتاب،،،

محمد عبده يماني

أمـا قبــل

كان النادي حريصاً على أن يطبع شيئاً من مؤلفات د. محمد عبده يماني - رحمه الله - الكثيرة، وفي حيرة من أمره ماذا يطبع حتى تبرعت أسرته بأن يتولى النادي طبع كتاب لم يسبق طبعه، وله التصاق وثيق بإبداع قد أنجز قبل ثلاثة وثلاثين عاماً «اليد السفلى» وتجربته تلك تمثل مرحلة من مراحل كتابة القصة، وهاهو بعد ثلاثة عقود يعيد رغبته الأكيدة في الإبداع، ويطلق لقلمه أن يسيل وينساب لينقل للمتلقي قصصاً لا تعتمد على لغة أرتآها في كتبه الفكرية، بل لغة لامست المجتمع ونقلت أحاديثهم بكل براءتها وبساطتها، وغوصها في أعماق يتمنى المتلقي أن يسمعها أو يقرأها، فها هي قصصه التي عنونها بـ «الهدهد مرّ من هنا»، وأبان سبب اختياره لهذه التسمية في مقدمة موجزة ومركزة، هذه القصص تشم فيها رائحة المكان وتلمس لذة اللهجة، ولثغة الحديث، فاخترقت معيارية اللغة، إلى روحها، بعد أن مرّت بتحول لهجي أعطاها ذوقها الخاص بها، وهذا لن تتغلغل فيه اللغة المعيارية (الفصيحة) لأنها لغة لا تسمح لنفسها

بهذا الاختراق المقصود في مثل هذه القصص، ولو جاءت كلها بهذه اللغة لكنت أمام كتاب لمؤلف، وليس أمام لغة محكية قالها أصحابها - أو تخيل الكاتب أنهم قالوها، فهو هنا ينقلنا إلى عالم ليكون مسموعاً لا كتاباً مقروءاً فقط.

النادي: رئيساً وأعضاءً سعداء بأن يكون تكريم د. محمد عبده يماني: المفكر والعالم الجيولوجي، والأديب، والإنسان متبوعاً بهذا الكتاب الذي يعيده - رحمه الله - إلى عالمه المحبب «الإبداع».

هذا الكتاب كما ترونه نقل كما كتبه مؤلفه، وهي كتابة قصدها بعلم ويقين، فحملت سرها للمتلقي، ونقلت صوتها له، فرآها حركة وسمعها صوتاً، فهي كتابة صائتة لا صامتة.

هذا وبالله التوفيق ،،،

عبدالمحسن القحطاني

تقديـم

هذه مجموعة قصص سميتها : «**الهدهد مر من هنا**».. لأنني من المتعلقين بهذا الطائر الجميل .. وقد كنا في مكة المكرمة نفرح به ونحن نراه يطير بجماله وخفته وألوانه وعُرفه فوق بساتين المسفلة .. وأمام منازلنا في بركة ماجد .. وكأننا نرى ذلك الهدهد الذي طار إلى اليمن ورأى مملكة بلقيس في سبأ .. ثم نقل إلى سيدنا سليمان تفاصيل تلك المدينة والمواقع المختلفة وصورها وكأنه قمر صناعي بهر الدنيا بذلك التصوير إلى يومنا هذا .

ولأن هذا الأمر راسخ في نفسي فقد اخترت لها هذا الاسم .. وكأني أرى الهدهد طاف حول مواقع القصص التي كتبتها عن مكة وما حولها .. وكأن العين التي نظرت بها إلى هذه البيئة التي صورتها والأحداث التي جمعتها لأصوغها في هذه القصص .. فهي تجربة .. بل مجموعة تجارب مرت بي .. فأردت أن أقدمها لمن يستهويه مثل هذا الأمر.

والله الموفق ،،

د. محمد عبده يماني

زوجة خارج الهيئة

تزوجنا والحمد لله وأنجبنا بنتاً جميلة ومثل «القمر» والحمد لله وجاءت «فورة الأراضي» «وهبشنا» رزقنا مثل بقية خلق الله والحمد لله وأصبح لنا خادمة.. وتم ترقيتها إلى مربية.. بقرار مشترك من جانب زوجتنا جزاها الله خيراً..

واهتمت المربية المذكورة سابقاً بتربية بنتنا.. وتعلقت بها الطفلة.. وتفرغت الزوجة المصون للزيارات والعلاقات العامة التي فرضها علينا الوضع المالى الجديد. - كما أفهمتني عفا الله عنها - ولسوء الحظ.. اختلفنا مع المربية وتم تسريحها «لوجه الله تعالى» وجاء وقت مغادرتها للمنزل.. وكان منظراً مؤلماً ومؤثراً.. فقد تعلقت بها الطفلة .. ولكن كل ما لا بد منه بد وأفهمنا الطفلة بأن المربية أخطات ولهذا غادرت المنزل.. وبكت.. وأشارت بيدها مودعه والدموع تنهمر من عينيها الصغيرتين..

وجاءت مربية أخرى وثانية .. وثالثة.. وتكررت الظروف .. والطفلة المسكينة تعاني عند كل عملية طرد .. ومراسيم وداع.. واختلفت مع زوجتي.. وتشاجرنا شجار الغرباء .. وكانت

مخطئة .. وكنت أتألم من إهمالها لي وللطفلة.. وأردت أن أحتج أن أثور.. أن أفعل شيئاً لكي أعيد البيت إلى وضعه الطبيعي.. ولكنها أصرت على موقفها ورغبت أن يكون القرار مشتركاً من جانب واحد.. وهو جانبها طبعاً وشعرت بأنه لم يعد حواراً وإنما كانت هيمنة.. وقررت الرحيل.. ولم أعترض وكانت مراسم الوداع كالعادة ووقفنا.. أنا والطفلة ننظر إليها وهي تغادر المنزل وأشارت الطفلة بيدها مودعه ولكنها لم تبك كالعادة في مراسم الوداع.. واندهشت.. وأخذت أفتش في عينيها عن دموع.. أو حتى بقايا دموع.. وأحسست بأنها اعتبرتها أما بلا أمومة ولم تكن حتى مربية.. فقد خذلتها .. ولم تكن أمينة على الرسالة وخانت الأمانة وكانت أماً .. ولكن بدون أمومة وزوجة ولكن خارج الهيئة.

امرأة تقود لوري

أضاءت الإشارة الحمراء .. وتوقفت جميع السيارات وفي المقدمة سيارة لوري تحمل أغناما .. فجأة وقف جندي المرور يشير إلى السائق بالنزول وقد لاحظ أن هناك بعض الكدمات في السيارة .. ولكن السائق لم يستجب إلى طلب الجندي .. ولم ينزل من السيارة .. وظل الجندي يكرر الطلب والسائق يكرر الرفض .. وأخيرا أضاءت الإشارة باللون الأخضر .. ولكن جندي المرور أشار إلى السائق بأن يقف بالجهة اليمنى للطريق ليعطيه المخالفة حين رفض النزول للمفاهمة معه .. وحضر الجندي مرة أخرى إلى باب السيارة .. وطلب من السائق أن ينزل .. فرفض .. وقال له ممتعضا : «لقد طلبت منك أن تنزل ورفضت الأوامر».

فقال السائق : «أنا لا أستطيع النزول»

وسأله الجندي : «لماذا لا تستطيع النزول»

فقال : «أيها الجندي لا أستطيع النزول لأنني امرأة»

هنا أصابت الدهشة الجندي .. فصعد إلى باب الناقلة ونظر في السائق فإذا بهاإمرأة فعلا تلف وجهها بشماغ أحمر .. هنا ازدادت دهشة الجندي فقال لها : «لقد خالفت مجموعة من القوانين، فأنت تقودين السيارة بدون رخصة وأنت امرأة في وقت لا يسمح للمرأة أن تقود وتتلقي المخالفات ، إنك تقودين سيارة بها عدة صدمات بالجانب الذي رأيته ، ولهدا سوف أحرر عدة مخالفات ، ثم عليك أن تطلبي رجلك ليحضر ليقود السيارة ، فلن أسمح لك بمواصلة السير».

نظرت إليه المرأة نظرة صارمة وقالت له : «أرجو أن لا تعطلني وتضيع علي فرصة اللحاق بالحراج في الحلقة للبيع ، فأنا أحمل في هذه السيارة مواشي أحضرناها من البادية لبيعها في الحلقة ، وأي تعطيل تسببه لي سوف يقود إلى إضاعة الفرصة عليّ لبيع كل ما قدمت من أجله».

هنا التفت اليها الجندي وقال : «يبدو أنك لا تقدرين مقدار المخالفة والخطأ الذي ارتكبتيه».

فقالت له : «يا رجل أنا لا أرتكب أي مخالفة .. فهذه سيارة زوجي وهو رجل وقع عليه حادث ولا يستطيع قيادة السيارة، ولدينا أطفال نطعمهم من حليب هذه المواشي ، ثم من بيع بعضها ، ولم يكن أمامي إلا أن أحمل هذه المواشي وأقوم بالنيابة عنه بالذهاب إلى الحلقة لبيعها».

فقال الجندي : «أنا لا أستطيع مساعدتك فهذه مخالفة واضحة».

فقالت له : «وأين المخالفة ؟؟».

قال لها : «قلت لك أنك تقودين سيارة بدون رخصة».

فقالت المرأة وهي تمد يدها الى شنطة بجوارها : «هذه رخصتي».

فنظر الجندي إلى الرخصة فوجدها رخصة دولية وعليها صورتها ، فقال وهو ينظر اليها : «كيف حصلت على هذه الرخصة».

فقالت له : أنا سعودية وأعيش مع زوجي منذ سنوات على الحدود الشمالية ، وكنت أقود السيارة لأتابع الأغنام في المراعي ، ولم يكن هناك من يمنعني من قيادة السيارة الوانيت ، أضع فيها قرب الماء ، وأتجول لأتابع حركة أغنامي ، وفي بعض الأحيان كنا نضطر إلى الذهاب إلى خارج الحدود فأساعد زوجي في قيادة السيارة عندما نرغب في بيع المواشي خارج الحدود ، وحصلت على رخصة القيادة بصورة رسمية ، ولذلك لم أفكر قط بأن هناك من سيمنعني ، فأنا أقود سيارتي نيابة عن زوجي، لأننا شركاء في هذه الحياة ، وقد مرض هو فمن واجبي أن أقوم برعايته وأولادي ، ونحن من عوائل كريمة لا نمد يدنا إلى أحد، ولا نقبل

معونة ولا صدقة ، ولا أقبل بأي سائق أجنبي ليكون معي، فأنا أتصرف بمروءة وشهامة .. فما هي المخالفة التي ارتكبتها».

ثم صمتت ونظرت إلى الجندي وقالت له : «أرجو أن لا تعطلني أكثر من ذلك وتضيع عليّ فرصة بيع المواشي وتتحمل ذنبي وذنب أولادي وزوجي».

شعر جندي المرور بحيرة كبيرة وهو يستمع إلى منطق المرأة، ويتذكر واجبه كجندي مرور ، وأنه ليس من حقه الموافقة والسماح لها بمواصلة قيادة السيارة .. وشعر بأهمية مساعدة هذه الإنسانة .

فقالت له : «إنني أقترح عليك بأن تسمح لي بأن أذهب للحاق بالسوق ، وأعطيك رخصتي لتحتفظ بها لديك ، ثم أحضر إلى المكان الذي تحدده بعد غد في الجهة الرسمية لأدافع بنفسي عن سبب قيادتي للسيارة».

لم يجد الجندي مفرا من الموافقة ، وأعطاها عنوان إدارة المرور ، ثم أعاد إليها الرخصة ، ونظر إليها وهي مبتعدة في اتجاه السوق ، وحضرت السيدة إلى إدارة المرور في اليوم التالي، وكان في انتظارها وجاء مدعي المرور وقدم لائحة المطالبة بإيقاع العقوبة عليها ، لأنها ارتكبت عدة مخالفات .

ونظر إليها رقيب الدائرة ، وسألها : «ماذا تقولين يا سيدة هيا».

فقالت : «أرجو أن أوضح موقفي بأنني امرأة أكسب رزقي بعرق جبيني ، ولم أخالف أي قانون ، فلدي رخصة دولية ، وأسير حسب الأنظمة والظرف الذي شرحته للجندي مكتوب عندكم ، بأنني أقود سيارة زوجي ، وأحمل مواشي لبيعها ، فأين الخطأ الذي ارتكبته !!».

تحرك مدعي المرور وقال بلهجة صارمة : «إني أطالب بتطبيق العقوبة عليها ، فمخالفتها واضحة ، وفعلتها سوف تقود إلى مزيد من هذه الممارسات الخاطئة ، وإذا كانت قد حصلت على رخصة من خارج البلاد فإن هذا لا يعفيها من أنها قد خالفت الأنظمة وقيادة سيارة في الشارع العام ومع الرجال في وقت تمنع فيه قوانين البلاد هذاالأمر».

وقالت «هيا»: ليس في النظام ما يمنع قيادتي للسيارة ، وعليه أن يثبت أن هذا الأمر هو مخالفة ، لأن بلدنا تحكم بشرع الله، وليس في الشرع الحنيف ما يمنعني من العمل مادمت أسعى إلى كسب رزقي ورزق أولادي وزوجي ، وأنا بكامل حشمتي ووقاري ، وكنا طول عمرنا لا نسمع في البادية عن هذه الأنظمة التي استجدت علينا ، فأنا أطالب برفض الدعوى والسماح لي بالعودة إلى أولادي وزوجي .

صمت رئيس الدائرة وهو ينظر إليها وقال : «نقرر حفظ الدعوى وتركها تعود لأولادها».

تحرك مدعي المرور وقال : «أنا أعترض».

رد رئيس الدائرة : «اعتراض مرفوض ولا مبرر لتعطيلها فقد تصرفت بمسؤولية في حدود الظرف الذي أملى عليها هذا التصرف ، ولكني أطلب منك يا «هيا» أن تصعدي هنا وتوقعي على عدم تكرار ذلك».

فأعادت عباءتها إلى رأسها وقالت : «شكرا .. ولكني لن أستطيع أن أعدك لأنني لا أريد أن أكذب فأنا في حاجة إلى هذا العمل الشريف».

صمت الجميع وقال رئيس الدائرة : «رفعت الدعوى».

وقال مندوب المرور : «لمن رفعت الدعوى يا سيدي».

تحركت هيا وقالت : «أما عني فقد رفعتها إلى رب كريم يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور».

وانطلقت خارج دائرة المرور وقفزت تقود سيارتها مبتعدة عنها ، ثم وقفت فجأة وعادت إلى رئيس الدائرة وقالت : «أرجو يا سيدي أن تأمره بإعطائي رخصتي وأوراقي».

ثم أعطوها أوراقها ، وانصرفت «هيا» عائدة .

وفجأة فتح الباب مرة أخرى ، وقام الجندي يقول لممثل الادعاء :

«يا سيدي هناك سيدة أخرى في الباب».

ورد المدعي غاضبا : «امرأة أخرى تقود لوري أم قلاب».

ورد الجندي : «لا أعلم يا سيدي».

قال : «دعها تدخل».

ودخلت امرأة ووقفت أمام المدعي وقالت :

«يا سيدي أنا سلمى عمر المحامي ، أنا أحمل رخصة المحاماة وجئت إلى هنا لأدافع عن السيدة التي بلغني أنكم أوقفتموها لأنها تقود سيارة لوري ، وأنا متبرعة للدفاع عنها».

وشعر المدعي بغضب ونظر إلى الضابط بجواره وهو يقول:

«يا عبدالله لو تذكرني نحن هذا الصباح اصطبحنا بوجه من؟».

فضحك الرجل ، وأخذت المرأة تكرر :

«لقد جئت إلى هنا لأداء واجبي ، وأرغب في الاطلاع على أوراق القضية ، فهذه محكمة مرورية».

ورد مدعي المرور: «لقد انتهت القضية وخرجت المرأة».

وحملت المحامية أوراقها وهي تخرج إلى الخارج ، وأخذ مدعي المرور يردد :

«أقول يا عبدالله الله يجيب العواقب سليمة، العصر حريمي».

وجمع أوراقه واتجه إلى الخارج.

دادة سعدو

وفتح الستار .. وأضيئت الأنوار .. وتدفق الناس إلى داخل صالة الفرح وبدأت فرقة الغناء تصدح .. ومن على السلالم أخذت العروس تهبط من بين صديقاتها متجهة إلى مكان الكوشة .. وبدت في غاية الجمال والروعة وأخذن مجموعة من المدعوات يتكلمن عن جمالها وما تتمتع به من طلعة بهية.. وواصلت «سعاد» مسيرتها حتى جلست في المكان المخصص لها وواصلت الفرقة الغناء .. وكانت هناك في الركن القصي تجلس والدتها وقد لفت رأسها بالمحرمة وعليها غطاء خفيف .. وراحت تصلح من وضع نظارتها .

في هذا الجو المفعم بالفرح قامت عريفة الحفل وهي تنادي:

«دستور يا حريم .. دستور يا ستات .. دستور العريس وصل».

وأخذن في إسدال جوانب من الحجاب عليهن .. وتقدم العريس «طاهر» وجلس بجوار زوجته على الكوشة .. وقدم لها الهدية .. وكانا سعيدين .. فهو رجل فرح بهذه العروس

التي كان يتمناها دائما .. فقد تقدم به السن حتى بلغ الخمسين من العمر ولم يتزوج .. مع أنه يعيش في بحبوحة من الرزق .. ويدير أعمال كبيرة .. ويملك العقارات .. ولكنه كان دائما يتمنى أن يلقى الإنسانة التي يرتاح لها .. ولهذا فرح عندما قبلت به «سعاد» وهي ما تزال في الثلاثين من عمرها .. وأخذ يتحدث إليها ويعرب لها عن سعادته وهي تبتسم وتبادله الفرحة .

وانفض السامر .. وأخذ طاهر عروسه إلى الفندق حيث استراحا .. ثم توجها بعد ذلك في رحلة جميلة في شهر العسل .. ومن فرط فرحته قال لها طاهر:

«دعينا نجعلها أشهر عسل ، فقد كنت أتوق دائما إلى مثل هذه الأيام السعيدة».

وتنقلا بين تركيا وماليزيا ، ثم رحلا إلى لبنان ، وكانت الفرحة غامرة، والسعادة كبيرة ، وأخذها إلى مطعم عرف بتقديم الأنواع الجيدة من الأسماك ، وقال لها :

«إني أتمنى أن يعجبك هذا المطعم ، فأنا رجل جداوي ومولع بالسمك ، وأنا ممن يمارسون صيد الأسماك في جدة ، وأقضي فيه ساعات طويلة ، وأكثر ما يعجبني يا سعاد هو السمك الذي أتناوله بعد أن قمت بصيده بنفسي ، بل إنني أقوم بطبخه وتجهيزه لي ولبعض أصدقائي كذلك ، وفي بعض الأحيان كنا نتناول طعامنا في وسط البحر ، بعد أن نقوم بصيده».

وتبسمت سعاد وقالت وهي تنظر إليه :

«يعني أنت طباخ ماهر ، ولا تحتاج إلى أحد يطبخ لك».

قال : «لا .. إن ما أتناوله من طعام من يدك ذو خصوصية، فأنا أتناوله في لحظات الحب والصفاء التي كنت أتطلع إليها ، وأنت يا حياتي أصبحت كل حياتي الآن في المنزل .. وفي المطبخ.. وفي الحديقة .. بل وحتى وأنا في المكتب أشعر بسعادة عندما أتذكر أنك معي.

وجلسا في جانب من المطعم ، وقدمت أسرة مع أطفالها، وجلست على مسافة منهما ، وفجأة تقدمت مجموعة من الأطفال وهرعوا إلى سعاد، وأخذوا يحضنونها بحب وشغف والتفوا حولها وهم ينادون :

«دادة سعاد .. دادة سعاد .. الحمد لله شفناك يا دادة بعد غياب طويل .. يا دادة سعاد نحن نحبك».

وقدمت أم الأطفال وسلمت عليها وحضنتها ، وشعر «طاهر» بهذا الحب الذي عبر عنه هؤلاء الأطفال ، ثم قدمت سعاد «طاهر» للسيدة وقالت :

«هذا زوجي طاهر يا أم جميل».

وردت «أم جميل» والسعادة بادية عليها :

«الله .. الله .. الحمد لله الذي أكرمك وتزوجت ، وبالمناسبة كيف حال الوالدة الآن».

وردت سعاد:

«بخير .. وقد تركناها في جدة حيث سنعود إليها قريبا بعد أن أمضينا ولله الحمد أياماً طيبة في شهر العسل».

فقالت السيدة :

«يا سعاد معنا عمك أبو جميل ويحب يسلم عليك ويتعرف على زوجك»

وتقدم الرجل وسلم على زوجها طاهر وقال :

«أنا سعيد أن ألقاكما وفرح جدا بزواجك يا سعاد».

هنا تنادى الأطفال :

«يا بابا .. يا بابا .. لا تقول سعاد قول دادة سعاد نسيت يا بابا دادة سعاد الحبيبة».

عادا إلى الفندق ، وشعرت سعاد بأن زوجها أخذ يفكر طويلا ويصمت ، وليس كعادته ، وبدت عليه تساؤلات ، فاقتربت منه وحاولت أن تفهم ماذا وراء هذا الصمت ، وأسرعت إلى الشرفة أمام غرفتهما في الفندق ، وأعدت الشاي ، وطلبت منه الخروج لتناول الشاي معا ، وكان الجو جميلاً في وقت المغيب ، والروشة تصطدم عليها تيارات الماء ، وتعود راجعة :

- «ماذا بك ياحبيبي يا طاهر .. في أي شيء تفكر؟».

- «لا شيء يا سعاد ولكني أفكر في بعض الأمور الخاصة».

- «ولكن لماذا لا تشاركني كعادتك؟ .. وأين الإبتسامة التي كنت أعهدها ؟.. وهل هناك ما تخفيه عني ؟».

- «أبدا مجرد لحظات صمت وتفكير».

وأخذت تحضنه وتسير بيدها على رأسه ، والتفت إليها وقال:

- «يا سعاد لقد استغربت من إقبال الأطفال عليك وهم ينادون دادة سعاد .. دادة سعاد .. ما هي قصة هذه الكلمات ؟»

ورجعت سعاد الى مكانها وقالت :

- «يا طاهر إن في حياة الإنسان أسراراً كامنة في العقل والقلب ويكره أن يعرفها الناس ، أما أنت فمن حقك أن تعرف كل شيء عني، خاصة وقد لاحظت أن هناك ملامح من الشك بدأت تساورك».

- «لا .. لا يا سعاد مجرد تساؤل».

- «أرجو أن تكون صريحا معي لأني ألاحظ ملامح الشك عليك».

- «دعني أروي لك الحكاية كاملة حتى أريحك وأريح نفسي فأنا يا طاهر كما تعلم ابنة والدي الشيخ عبدالحميد زيات،

ووالدتي التي رأيتها ، وكان لي أخ يعيش معنا ، وعندما بلغ سن المراهقة ابتلي بتعاطي المخدرات ، وأتعب أبي وأنهكه وهو يخرجه من السجن ويعود إليه ، وأخيرا تعب الوالد وتعطل عن السير إثر أمراض ألمت به منعته من الحركة ، وبقيت الوالدة تخدمه وأخي مودع في السجن ، ونحن في حالة من الكرب العظيم ، مع أن والدي كان من الرجال البارزين ، ومن أهل الحرفة والصنعة ، ولكن توقفه عن العمل عطل كل نشاطاته.

كنت أذهب إلى المدرسة في سيارة ثم بعناها وسرّحنا السائق لننفق على حياتنا أنا وأمي، ونقدم الدواء لوالدي ونرعاه، وازدادت الأحوال سوءاً، فلجأت الوالدة إلى الجيران الذين أخذوا يعطونها ملابسهم لتقوم بغسلها وكيها ، ثم تعيدها لهم.

واصلنا العيش في هذه الظروف الصعبة وأنا أراها منهكة ولكنها دائما كانت تشعر والدي بأنها سعيدة أن تكون بجواره وتقول له :

«أنت صاحب فضل يا عبدالحميد ولن أنسى العشرة الحلوة، وسأظل بجوارك وإن شاء الله لن نمد يدنا إلى أحد ، وسوف تتخرج سعاد ، وأنا أدعو لها كل يوم في الصباح والمساء فهي رضية يا عبد الحميد».

ورأيت قطرات من الدمع تسيل على خده وهو يقول:

«والله سعاد رضية .. أسأل الله أن يكرمها وأهل مكة يقولوا رَضِي الوالدين ما يِنْضَام».

وعندما ازدادت الأحوال سوءاً شعرت بأن من واجبي أن أعمل أي شيء ، وتحدثت إلى مديرة المدرسة عن رغبتي في العمل وشرحت لها الظروف ، فذكرت لي أن العم «أبو جميل» وأسرته في حاجة إلى من يساعدهم في رعاية أولادهم ، فكنت أذهب إلى المدرسة ثم أعود لأساعدهم في البيت وأرعى الأطفال، وعندما أحضر متأخرة كانت أمي تقول وهي منزعجة :

«لماذا تأخرت يا سعاد لقد أقلقتيني يا بنتي ، وأصبحت خائفة عليك».

فقلت لها :

«يا أمي إن المدرسة ذكرت لي أنهم بحاجة إلى من يساعد المديرة في ترتيب غرفتها ومساعدتها على ترتيب المكتبة على أن يعطوني مبلغ مقابل هذا العمل ، فأنا أقوم به بعد الدراسة».

رضيت أمي مرغمة وفرحت أن العمل هو في المدرسة، وقدمت لها المبالغ التي كنت أحصل عليها من عائلة العم «أبو جميل» والذين كانوا كراما معي وعشت معهم أحسن وأجمل أيامي إلى أن تخرجت والتحقت بالجامعة وحصلت على درجة البكالوريوس في التربية ، وأصبحت أقوم بالتدريس

وأكسب رزقي واطعم أهلي ، ولم يكن أحد يعرف حتى الوالدة بذلك ، وتوفي والدي ، وبقيت بجوار الوالدة وأخي مازال يقبع في السجن حتى توفاه الله.

تلك هي قصتي يا طاهر وهذا هو سبب النداء الذي كنت تسمعه ، وما كان لي أن أذكر هذا الجانب من حياتي لولا الظرف الذي مر بي ، وخشيت معه أن تسيء الظن بي.

ثم ارتمت عليه ووضعت رأسها على صدره ، ولاحظت قطرات من الدمع تسقط على وجهها ورأته وهو يبكي ويقول وهو يضمها :

- «بنت رجال يا دادة .. بنت رجال يا ماما .. بنت رجال يا سعاد».

المطرقة والجدار

وقفت الحافلة وأخذ دليل السياحة ينادي الركاب بأنهم قد وصلوا إلى مكان الجدار.. جدار برلين.. وأن لديهم ساعة للبقاء هنا والتجول وسوف يسمح للجميع بالدخول عبر الأجزاء المهدمة من الجدار إلى داخل ألمانيا الشرقية وهبطت «بوران» مسرعة وطلبت من قائد السيارة أن يساعدها في إخراج العربة من المخزن السفلي للحافلة ، وأخذت تساعد والدتها على الهبوط من الحافلة ووضعها على العربة وبدأت تدفع العربة إلى الأمام والناس تسير في اتجاه مكان الجدار ، ودخلوا إلى الجزء الشرقي من ألمانيا ، وأخذت «بوران» تنظر في دهشة إلى الفارق الكبير بين الجزء الشرقي الذي دخلوا إليه والجزء الغربي الذي كانوا فيه ولاحظت الحياة البائسة التي يعيشها الناس الذين تكسوهم ملامح الكرب والفقر والحاجة ، وكأنهم صورة من صور الفقر في دول العالم البائسة رجال ونساء يمدون أرجلهم في الشوارع ويتكئون على الجدران وبعضهم يدخن السيجارة ولا تكاد ترى شيئا من ملامحه إلا وقد تجعد وأطفال عليهم ثياب رثه ، وفي

يدهم قطع من الخبز والكل ينظر إلى السواح وإلى مظهرهم في دهشة ولكنهم قل ما كانوا يتكلمون مع الناس.

وأخذت «بوران» تسير بأمها وتحاول أن تستمع إلى شرح الدليل السياحي الذي صحبهم ولكنها كانت في ذهول مما ترى، وأخذت تشرح لوالدتها عن حياة هؤلاء الناس وكيف كانوا وكيف أصبحوا.. وأنهم ضحايا أبرياء للسياسة .

- «يا ماما هذا جزء من ألمانيا الكبرى انفصل عنها وأصبح أهله في فقر يعانون من الجوع والبؤس».

ردت الوالدة :

- «يا بنتي طيب لماذا انفصلوا وسببوا لأنفسهم هذا الكرب؟».

وترد بوران موضحة لأمها:

- «لقد أجبرتهم الظروف وقست عليهم الدول ومزقتهم رغم أنوفهم ونصبت هذا الجدار الذي مررنا به ليفصل بينهم وبين أهلهم في الجزء الآخر».

وهنا سحبت الوالدة سبحتها والتفتت إلى بوران:

- «اسمعي يا بنتي احنا ما ناقصنا كرب ليتك لم تأت بي إلى هنا وقد كنا نستمتع بالحدائق والزهور هناك في الجزء الغربي أحسن نرجع وما لنا وهذا الكرب؟!».

«أنا بصراحة يا بوران شعرت بغم ولا أريد أن أستمر فعودي بنا لأن هذه المناظر تبعث في قلبي الحزن وحاجة تبكي يا بنتي».

واستمرت بوران تدفع العربة أمامها وتقول لأمها:

- «يا ماما لا نستطيع أن نرجع بمفردنا ونحن في مجموعة سياحية ولا بد أن نسير معهم ثم إنها فرصة أن نرى الآثار المدمرة لسياسات الدول التي تمزق الشعوب».

وردت الوالدة:

- «بصراحة يا بوران أنا ما أفهم ولا شيء من هذا الكلام خليني أسبح وأعطيني لو سمحتي قليل من الماء لأشرب».

واستمرت الحملة السياحية تتجول داخل منطقة برلين الشرقية ثم بدأوا في العودة وعندما اقتربوا من الجدار الذي هدم بعد أن كان يفصل بين الجزأين الغربي والشرقي وجدوا حول الجدار أكشاك ومواقع تبيع قطعاً من الجدار يأخذها الناس كذكرى لجدار برلين بعد أن تهدم.

وتقدمت بوران وانحنت لتشتري قطعة لها ولوالدتها ومدت يدها لتطلع الوالدة على القطعة فقالت لها:

«يا بوران يا بنتي ما ناقصنا هموم ولا أحجار ولا أجور لقد هربنا من تلك الأحجار وجئنا نستمتع بالأشجار فأرجوك اعفيني فأنا لا أريد حجراً وخذي لنفسك ما شئت. وإذا كانت

عملية الشراء ستأخذ منك بعض الوقت فخذيني إلى تلك الشجرة لأبقي تحتها ريثما يتحرك الركب واشتري لي فنجان شاي ريثما تعودين إليّ».

وأخذت «بوران» تدفع عربة والدتها نحو شجرة كبيرة مطله وعادت لتشتري قطعة من الجدار الذي كان يفصل بين برلين الشرقية وبرلين الغربية.

ولاحظت بوران عند عودتها أن هناك شيخا كبيرا يحمل في يده مطرقة ويقف بجوار السور ويحاول أن ينتزع جزء من ذلك السور بالمطرقة التي بين يديه وأسرعت بوران إليه لترشده بأنه إنما يأخذ من الجدار الخطأ فهذا ليس جدار برلين وتقدمت نحوه مسلمة وأخذ ينظر إليها وهي تلقي التحية عليه وقد ملأت التجاعيد وجهه وأزاح القبعة من على رأسه وأخذ ينظر إليها مستغرباً فقالت له:

- «يا سيدي إنك تأخذ من الجدار الخطأ فهذا الجدار الذي تحاول أن تأخذ منه بالمطرقة ليس هو جدار برلين ، وليس هو الجدار الذي فصل أجزاء برلين الغربية عن الشرقية».

- ونظر إليها الرجل وهو يتفحص في ملامحها فقال:

- «من أين أنت أيتها الفتاة؟».

- «أنا من منطقة الجزيرة العربية وجئت مع أمي للسياحة».

فأعاد النظر إليها وقال:

- إنني أعرف الجدار الذي آخذ منه هذه القطعة لأنه الجدار الحقيقي الذي كان يفصل بيننا وبين إخوتنا وأهلنا في منطقة برلين الغربية.

ردت الفتاة:

- «إذاً أنت ألماني يا سيدي؟».

- «نعم أنا ألماني وأشعر بألم شديد لكل تلك السنوات التي منعنا فيها هذا الجدار من الاتصال ببعضنا البعض ودمر كل حياتنا».

ردت بوران:

- «ولكن هذا الجدار الذي تأخذ منه القطعة ليس جدار برلين».

- «صحيح يا فتاتي لكن هذا الجدار الذي آخذ منه القطعة جدار السفارة الروسية وهو الجدار الذي كان يفصل بيننا بقوة السياسة وظلم السياسة وهو الذي حرمنا من أهلنا وحطم حياتنا فأنا آخذ القطعة من هذا الجدار الذي كان فعلاً يفصل بيننا».

ثم نظر إليها مبتسماً وقال:

- «بالمناسبة لقد انتهيت من أخذ القطعة وأرجو قبول هذه المطرقة كهدية مني إليك لان في بلادكم الكثير من الجدران التي تحتاج إلى مطارق لهدمها».

وأعادت إليه المطرقة وهي تقول:

«شكرا يا سيدي إن الجدران التي في بلادنا هي جدران من الوهم والخوف وليست من الحجر».

مدام سيجر

ذهب حمد للدراسة في الخارج .. فهو من قرى الليث، وحصل على درجة في الثانوية أهلته ليكون مبتعثا إلى بريطانيا لدراسة القانون ، وفرح وهو يجمع ثيابه للسفر .

وصل إلى لندن ..

شعر الفتي القادم من أقاصي قرى الليث بدهشة وهو يدخل إلى مطار لندن ويفاجأ بكل تلك الأعداد من الناس تركض في كل اتجاه وكأن كل منهم يبحث عن شيء ، ولا يعرف «حمد» لماذا يركض الناس بهذه السرعة حاملين متاعهم على ظهورهم وأيديهم .

دهش الفتى لأول وهلة ولكنه لا حظ أن الأمور تسير بطريقة سهلة فسار مع الناس في اتجاه موظف الجوازات ، واستقبله الرجل وأعانه على ملء الاستمارة ، وكان يبتسم بصورة أسعدت حمد وقال في نفسه :

- ليتنا نستقبل الناس في مطاراتنا بهذه الابتسامة التي لا تكلفنا شيء ولكنها تعني للقادم كل شيء .

فجاة وجد نفسه أمام بوابة الخروج، والتقط شنطته التي يحملها ثم سار في اتجاه الباب الخارجي وبدا مرتبكا وهو يرى أن هناك خطوطا حمراء وأخرى خضراء وأخذ يسأل وهو يتجه إلى الخارج ماذا تعني هذه الخطوط ، وارتبك وهو يتجه إليها ، وهل يسير في الخطوط الحمراء وهي دائما ممنوعة في بلادنا أم الخطوط الخضراء ، وقد يكون للناس استعمالات أخرى لهذه الخطوط في هذه البلد.

أخيرا التفت إلى رجل بجواره وسأله بلغة إنجليزية ركيكة :

- من أي الخطوط أخرج يا سيدي ؟

فالتفت إليه الرجل وقال له :

- هل تحمل شيئا .

- نعم أحمل شنطتي هذه ؟

سأله الرجل :

- ولكن ماذا بداخل الشنطة.

- ملابسي وبعض كتبي.

- تستطيع أن تسير مع الإشارة الخضراء وتتحمل المسؤولية بأنك لا تحمل أي مواد ممنوعة من الدخول أو مواد لابد أن تمر بإدارة الجمارك وتسجلها.

شعر حمد بارتباك أكثر ، وشكر الرجل ولكنه قرر أن يدخل مع الخطوط الحمراء ولم يوقفه أحد ولاحظ أن الجندي أخذ ينظر إليه وهو يسير في اتجاه البوابة الخارجية وكأن ليس هناك أي فرق بين من يدخل من الخطوط الحمراء أو الخضراء ، وظن حمد أنه ربما تكون لهم وسائل يعرفون بها ما بداخل كل حقيبة وقال في نفسه :

- ما عليك.

وقد تعود أن لا يحشر نفسه في متاهات أسئلة قد لا يستطيع الإجابة عليها خصوصا وانه غريب وتعلم دائما (يا غريب خليك أديب) وخرج خارج المطار واتجه إلى وسط المدينة مستقلا القطار وسافر إلى مدينة أدنبرة حيث الجامعة التي سيدرس فيها ، عندما وصل بعد دوي شديد للقطار الذي كان يركبه دخل الى مدينة أدنبرة واتجه إلى مكتب التسجيل ، وبدأ يبحث عن مكان يسكن فيه ودله مكتب التسجيل على سيدة معروفة عندهم تأوي الطلاب مقابل مبلغ من المال.. وأخذه اليها وعرفه عليها ، وكان اسمها «ماريا سيجر» ورحبت به واتفقت معه على غرفة ليقيم فيها .

ظل لديها سنوات وهو منكب على دراسته ، ونشأت نوع من الألفة بينه وبينها ، وشعر بحنان وعاطفة من الأمومة تحيطه

بها وهي تتبع تقدمه الدراسي ، وتدعوه في بعض الأحيان لتناول الشاي لديها ، وتحب أن تسمع عن أخبار بلده وأهله في المملكة.

تواصلت هذه العلاقة الطيبة والشعور بالأمومة، وسافر كعادته في نهاية العام لقضاء الإجازة بين الأهل، وعندما عاد فرح بلقائها وأحضر معه بعض قطع من المجوهرات البسيطة هدية لها ، وشكرته وبدت عليها السعادة ولكنها سألته فجأة :

- « يا حمد هل اطلعت إدارة الجمارك على هذه المجوهرات التي أحضرتها لي».

قال باستغراب :

- «لا .. لأنها هدية خاصة ، ومررت من الخط الأحمر».

لاحظ بعض التغيير على وجهها ، وانصرف إلى غرفته، ولم يلق بالا على المسألة ، وبعد ساعات فوجيء بمندوب الجمارك ومعه مسؤول من الأمن وقد حضرا إلى المنزل وطلبا لقاءه، وشرحا له ماذكرته السيدة «سيجر» وأن هذا الذي فعله خطأ لأنه من المفروض أن يسجل كل ما يدخله من ذهب أو مجوهرات، وقاما بتقييم الهدايا ووضعا عليها غرامة ، ثم طلبا أن يحضر إلى المحكمة اليوم التالي .

تدخلت السيدة «سيجر» وأفهمتهم بأنه لم يكن يعلم بمثل هذه الإجراءات، وترجوهم أن يكتفوا بدفعه للغرامة دون

الذهاب إلى المحكمة لأن هذا قد يضر بسمعته كطالب وهو يجهل ما فعله .

في اليوم التالي حمل حمد حقائبه وبحث عن مكان آخر لينتقل إليه وعند خروجه سلم عليها مودعا وقائلا :

- «يا سيدة ماري لقد قضيت معك وقتا طيبا، وكنت أشعر بعاطفة فياضة، وأنت ترددين بأنني أصبحت لي غلاوة عندك، وبصراحة فوجئت بهذا التصرف الذي يتناقض كليا مع المشاعر التي تبدينها لي».

وناولته السيدة «سيجر» بقية حاجاته وهي تودعه عند الباب قائلة :

- «ياحمد أنت غال عندي ، ولازلت أحترم جهدك وأقدر أخلاقك ، ولكن وطني أغلى منك ومن الدنيا كلها .. إنها إنجلترا التي أحبها وأعتز بها .. وهي غالية عندي، وكلنا نعمل من أجل سلامة الوطن وأمن الوطن وأكرر أسفي إذا لم تفهمني ووداعا يا حمد».

لـص له قلـب

أسرة تعيش على الكفاف.. قانعة برزق ربها .. ورجل يكافح من أجل لقمة العيش، ولكنه ذو طبيعة خاصة ، يميل إلى اعتزال الناس والاحتكاك بهم .. أحلامه متواضعة .. وآماله محدودة في لقمة عيش يأكل منها ويطعم زوجته وأولاده .. وقد عاش على هذه الوتيرة ، وظل في منزل صغير متواضع خلف عمارة عتيقة.. وكانت الشقة تضم غرفتين وصالة مع منافعها .. وقد تعودوا جميعا على القناعة والقبول بما قسمه الله لهم .

الزوج «حسن أبو عمو» يخرج إلى المسجد بصورة منتظمة ، وكم شعر بفضل الله الذي لا ينسى أي إنسان من رحمته ونجدته، وقد كان يخرج إلى المسجد وليس في جيبه ما يساعده على شراء ما يطلبه الأولاد من طعام ، ولكنه يفاجأ برجل يمد يده إلى جيبه ويضع فيه بعض أوراق النقود ، مع أنه لم يمد يده إلى أحد ، ويقول حسن :

- سبحانك ترزق من تشاء ، وكيف تشاء ، وتسخر من تشاء لتطعم من تشاء وأنت رب كريم .

عاد إلى البيت منهكا .. وفي تلك الليلة دخل عليهم لص .. وهو وزوجته على الفراش .. والأولاد في غرفتهم .. وأخذوا يسمعون أصوات تحرك اللص في الشقة .. استيقظوا من نومهم.. فهمس في أذن زوجته :

- هناك صوت غريب.

فتقول له :

- هناك فعلا صوت ويبدو أنه صوت لص دخل إلى منزلنا فقم إليه يا حسن .

وأخذت تشجعه على مواجهة اللص ويرد حسن وهو يرتعد خوفا ويرد:

- ماذا تريدين مني أن أفعل .. قومي واذهبي لتعرفي ماذا يحدث؟

- أقوم أنا ياحسن وأنت رجل البيت !!

- أنا لا أستطيع أن أواجه اللصوص ، وليس لدي ما أكافح به أي لص .. لا سكين .. ولا حتى موس حلاقة .

- يا حسن كيف أذهب أنا وأواجه اللص .

- أقول لك يا رحمة اسحبي اللحاف ودعينا ننام في هدوء وليفعل ما يفعل.. وإذا وجد شيء فليأخذ رزقه ويترك لنا رزقنا حتى نأكل ما يبقي.

- يا حسن هذا كلام غير معقول أن نرى لصاً يتجول في بيتنا ثم ننام نحن في هدوء ، وأي هدوء يا حسن واللص يتجول في البيت .

- أقول لك يا رحمة اسحبي اللحاف بهدوء قبل أن يتحول اللص إلى قاتل ويفتك بنا ، وأنا بصراحة أصبحت ركبي تصطك من الخوف .

- صحيح أنك خواف .. صحيح أنك خواف .

فيسحبا اللحاف ويناما حتى الصباح ، وفي الصباح يلاحظا أن اللص دخل من النافذة الخلفية ، لأن بيتهم في الدور السفلي ، ولكنه لم يسرق شيئا ، فهم لا يملكون إلا أشياء بسيطة .. بساط وبعض أواني الطعام ، وأيقظا الأطفال ، وأخذوهما الى المدرسة ورحمة تقول له :

- صحيح أنك خواف يا حسن .. والله أقول لأمك وأبوك إنك خواف.

- يا ستي هم يعرفوا .. وما فيه واحد عاقل يواجه حرامي وما في يده سيف يدافع به عن نفسه ولا مسدس يطلقه.

ويضحكان .. ويقفلان الباب .. وبعد مغرب ذلك اليوم يأتي رجل ويطرق الباب ويستأذن في الدخول ، ويسأله حسن :

- من أنت وماذا تريد ؟

- أرجو أن تسمح لي بالدخول وسوف أخبرك لأنني لا أستطيع الوقوف على الباب وأنا أحمل أشياء كثيرة معي.

- ما هذه الأشياء التي تحملها ؟

- أدخلني إلى الداخل وسوف تعلم .

ويفسح له الطريق وإذا به قد أحضر ألوانا من الطعام وبعض كميات من الرز والعصيرات والحليب ويقول له حسن :

- ما هذا ؟؟

- هذه هدية لك ولزوجتك ولأولادك.

- ومن أنت ؟؟

- أنا اللص الذي دخل المنزل البارحة ، وضحكت من كل قلبي وأنا أسمعك تتحاور مع زوجتك ، وأسفت للخوف الذي أصابك ، ولكن أسفي كان أكبر عندما تجولت في المنزل فلم أجد شيئا آخذه ، فالشقة خاوية ، وحتى الأولاد الأغطية التي عليهم ممزقة ، وعرفت أنني دخلت إلى مكان خطأ ، فانسحبت، وجئتكم اليوم لأكفر عن بعض سيئاتي ، وأقدم لكم هذه الأشياء لتستعينوا بها على حياتكم ، كما أنني غدا سوف أبعث لكم بعض الملابس والبطانيات.

- ولكنني لا أفهم كيف تقوم بهذا وأنت رجل لص !!

- كلامك صحيح ، ولكني أسرق لأعيش ، وقد ابتليت بهذا الأمر ، ولكني عندما دخلت إلى منزلكم شعرت بخجل شديد، وألم في نفسي .

- أنا لا افهمك .. كيف أنت لص وتأخذ أموال الناس، وتدخل إلى منازلهم ثم تقوم بمثل هذا العمل الطيب !!

- أنا لص فعلا كما ذكرت لك ، وأعرف انني أخطئ ولكني لا أريد أن أحارب الله من كل جانب ، فلعله يغفر لي ذنوبي بعمل خير كهذا أقدمه .

- أمرك عجيب .. أفعالك أفعال لص .. وأخلاقك تدل على ان في داخلك انسان نبيل .. حاول أن تتوب .

- لا أعتقد أنني أستطيع ان فعل ذلك الآن ، فأنا لا أملك عملا، ولا أحسن الصبر على العمل ، وليس لدي مؤهل يعينني.

- ولكنك تستطيع أن تحاول، وتعلم أن الله الذي تكفل برزقنا أنا وزوجتي وأولادي سوف لن يتخلى عنك .

- أنت رجل متفائل وطيب ولكني لدي مسؤوليات كبيرة، ومثقل بالديون .

- أسمع .. عد إلى الله .. ومد يدك إليه ولن يتخلى عنك ، فهو لا يتخلى حتى عن الأسماك في عمق البحر ، ولا الطير في جوف السماء ، ولا الأجنة في بطون أمهاتها .

– أنت رجل فيلسوف ، وأنا إنسان أقوم بهذا العمل ولكن عندي أمل في التوبة .

– الباب مفتوح .. وعليك أن تحدد فقط متى تدخل .

– ماذا تعني!! .. أنا لم أدخل من الباب، وإنما دخلت من النافذة!!

– لا .. لا أقصد بابنا وإنما باب الله مفتوح أيها الرجل.. هل فهمتني!!.. بالمناسبة هل أنت تصلي دائما وتحافظ على الصلاة؟

– لا أحافظ كثيرا .. ولكني أحتفظ بالله في قلبي .

– في أي مسجد تصلي.

يضحك اللص ويقول :

– أنا لا أصلي في المساجد .. أنا أذهب إلى الكنيسة في بعض الأحيان .

– إذاً أنت مسيحي.

– نعم أنا مسيحي كاثوليكي، ولكني لا أواظب على الذهاب إلى الكنيسة فمعظم الأحيان لا أفهم كلام القسيس ، ولهذا قل اتصالي بالكنيسة .

- على أي حال حاول وسوف تنجح .. والآن وقد عرفت أنني مسلم فهل أنت آسف لتقديم هذه الأشياء ، وهل لازلت تريدني أن آخذها !!

- لا .. لا .. أنا قدمتها وأنا سعيد بذلك .. فأنا عندما أدخل المنازل لا أكترث اذا كان مسيحي أو مسلم إنما كل ما يهمني أن يكون المكان سهل الدخول ، وسهل الخروج ، وكل ما أطلبه منك أن تسامحني على اقتحام بيتكم ، وما سببته لك من خوف.

- لا عليك .. فما فعلته يدل على أن في أعماقك إنسان طيب.. ورجل له قلب .. فحاول العودة إلى الله .. ربك وربنا ورب الخلق جميعا .. وصدقني أنك سوف تنجح.

- أعدك أني سوف أُحاول ، وأنا على أي حال مع الله بقلبي.

وقال وهو يبتسم ويفتح باب استعدادا للخروج :

- إذا عدت فسوف أعود إلى الكنيسة طبعا.

وابتسم وأسدل القناع على وجهه وانطلق مسرعا.

فتاة ترقص الديسكو

البدع قرية من قرى الشمال في تبوك ، ومن القرى التي تزخر بتاريخ عريق ، وتضم مجموعة كبيرة من الآثار، وأهلها أقبلوا على تعليم أولادهم بصورة جعلتهم يشقون طريقهم نحو المستقبل ، وكانت في أطراف القرية عائلة لديها شاب اسمه «عليوة» شاءت الظروف أن يحصل على منحة دراسية في فرنسا، وكانت مفاجأة سارة للجميع ، ورغم تردده فقد كانوا جميعا يشجعونه على أمل أن يكون رجل من رجال القرية البارزين في المستقبل ، وأن يتخرج طبيبا أو مهندسا ، ونجحوا في ذلك ، واقتنع ابن «البدع» وقرر التقدم للبعثة واستكمل الإجراءات .

سافر عليوة ووصل إلى باريس ويلتقي بطالب قديم فيتعرف عليه ثم يدعوه لتناول العشاء معا فيقول له عليوة :

- أين سنذهب للعشاء !! هل لديك في المنزل !!

- لا ليس لدي منزل يكفي للعشاء ، فأنا أسكن في مساكن الجامعة ولا يُسمح لنا بالطبخ فيها ولا حتى بدخول الغرباء.

- إذاً ألى أين ستدعوني للعشاء ؟

- هنا في الشانزلزيه في مطعم جميل اسمه (الفوكيت).

- وهل تريدني أن أتعشى معك في وسط السوق.

- طبعا هذا مطعم راق وتعودنا أن نأكل فيه!

- لا.. لا يمكنني الدخول والأكل في مطعم أمام الناس، فأنا لم أتناول وجبة في الأسواق منذ أن عرفت نفسي ولهذا أنا لا أستطيع أن أذهب معك إلى هذا المطعم.

- يا أخي أنت الآن في باريس ولست في تبوك ، والحياة هنا تختلف عن ما ألفته هناك، وإذا ظليت متمسك بهذه العادات والتقاليد فقد تموت في هذه المدينة من الجوع، لأن الناس هنا دائما تأكل في الشوارع أو تمر بأماكن بيع السندويتشات فتمسك بيدها الطعام وهي تسير.

- هذا أيضا لا يعجبني ولا أرتاح إليه وأشعر أنني إذا دخلت إلى هذه المطاعم سأصاب بالاكتئاب وأنا أتناول طعامي مع الغرباء.. إنك تدفعني إلى أمر لم أتعوده «يا صالح».

- أسمع يا عليوة أنا لا أطلب منك إلا أن تجرب فقط.

والتفت عليوة حوله وقال :

- فلنجرب وربنا يستر من عنده.

فأخذه ودخل به المطعم ، وأخذ يجره الى الداخل ، وجلس معه على طاولة ، ولكن عليوة أخذ ينظر حوله في دهشة ويقول:

- يا صالح هناك حريم في المطعم .. حريم يأكلن مع الرجال!! كيف تبيني آكل معهم ومعظمهن مفاسيخ ، والهدوم التي عليهن هي أشباه الهدوم وليست هدوم .

- هون عليك .. سوف تتعود على هذه الهدوم .. فأنا قلت لك إننا في مكان آخر خارج بلادنا .. وعلينا أن نتعود وندرس ثم نعود إلى بلادنا .. وقد تفاجأ أن من يدرّسك في الجامعة هو أستاذة .. ومن يجلس بجانبك هي طالبة من هؤلاء اللاتي سميتهن مفاسيخ.

- أقول يا صالح في الحقيقة أنا أفكر بالرجوع .. فلا أظنني أستطيع أن أتحمل هذا الوضع بأي شكل من الأشكال .. إنني متخوف ومرتبك من الإقدام على هذه التجربة !

- لا عليك .. دعنا الآن نطلب الطعام .. واسمح لي أن أطلب الطعام نيابة عنك .

تناولا الطعام وشربا القهوة وخرجا يتمشيان في شارع الشانزلزيه وعليوة يمطر صالح بوابل من الأسئلة عن كل ما يراه هنا وهناك ، وأوصله في النهاية إلى مقر سكنه وودعه الى لقاء .

وفي الأيام التالية كان دائما يتردد عليه ويسأل عنه ويعينه على التأقلم ، ومضت السنة الأولى بسلام ، وتعود عليوة على الحياة ، ثم شعر بفرحة وهو يتعلم اللغة الفرنسية ، وبدأ يجيدها،

وشعر بعطف من الأساتذة الذين يدرّسونه وتفهمهم لظروفه وأحواله ، وبعضهم كان يبتسم عندما يسمع عن آراء عليوة في المجتمع الفرنسي .

وتمضي سنوات الدراسة بعليوة، واجتاز مرحلة البكالوريوس، وحصل على الدرجة بتقدير جيد ولكن إدارة البعثات طلبت منه أن يكمل الماجستير ، ففرح ووافق وبدأ مرحلة الدراسات العليا، وتأقلم مع الحياه ، وانطلق يعيش ويتجول في كل زوايا باريس وخارج باريس ، وأصبح له أصدقاء من مختلف الجنسيات ومن الفرنسيين من زملاء الدراسة وممن لقيهم في أثناء حياته في باريس، ولكنه ظل في أعماق نفسه يحافظ إلى حد ما على بعض رواسبه الاجتماعية وعادات ألف عليها .

ذات مساء خرج عليوة يتجول ، واتجه إلى مكان سمع فيه أصوات غناء وطرب عربي ، فدخل إليه وكان الجو من حوله غريباً ، لأنها المرة الأولى التي يدخل فيها إلى ناد ليلي ، وحضر إليه الجرسون وسأله عن طلبه وعدد له أنواع المشروبات ، فرد عليوة :

- إنني لا أتناول الخمور ، فأنا مسلم والخمر ممنوع علي .

- يا سيدي مثلك كثيرون قدموا عندنا في أول الأمر ثم أصبحوا بعد الكوكاكولا والعصيرات يدمنون الخمر حتى الصباح ، فالمسألة مسألة وقت فقط وسوف تتأقلم .

- لا .. لا إن شاء الله .. فال الله ولا فالك.

يبتسم الجرسون وبعد دقائق تحضر سيدة للجلوس معه ، وتسأله عن أحواله ، وتطلب منه أن يشتري لها نبيذا ، فيخبرها أنه لا يستطيع فتقول :

- لا بأس أحضر لي أي مشروب تراه ، فالذي يهمني هو الجلوس معك وأن تدفع ثمن الجلسة .

وبدأت الحديث معه ووجد حديثها شيقا ، ومر الوقت دون أن يشعر حتى فوجيء بأن الساعة قد اقتربت من الثانية صباحا ، فاستأذن وخرج ثم عاد إلى مسكنه .

في الأيام التالية ظلت تتنازعه مشاعر كبيرة بين العودة إلى النادي أو الهروب بعيدا عنه ، وفي النهاية انتصرت الرغبة ، وعاد إلى النادي ، وظل يتردد عليه ، ولكنه حافظ بكل قوة على ألا يمد يده الى أي مشروب كحولي رغم كل الإغراءات ، وظلت الفتاة تجلس معه دائما كلما حضر ، وتكتفي بما تحصل عليه من قيمة الشراب الذي يقدمه لها ، وارتاحت إلى حديثه ، وعندما تعمق الحديث بينهما قال لها أنه يرتاح للجلوس معها ويريد أن يدعوها يوما للغداء في الفوكيت ولكنها ترفض وتقول له :

- إنني أسهر طوال الليل ولا أستطيع أن أخرج في النهار.

فيتفق معها على اللقاء في يوم عطلتها ، ويجلس معها ويحدثها عن رحلته ثم يقول لها :

- أنا بصراحة أعجبت بك كثيرا خصوصا عندما سمعت قصة حياتك ، ولماذا ترتادين هذا النادي ، ولهذا فأنا اسألك إن كان بالإمكان أن أساعدك على التخلص من عملك هذا وأبحث لك عن عمل آخر تحصلين فيه على نفس المبلغ دون الحاجة إلى التعري والرقص، وأنا يا مارجريت تأثرت كثيرا بقصتك التي رويتيها لي ، وكيف تعملين لتنفقي على أمك المريضة ، وأنك تقومين حتى بعمل آخر من أجل توفير القوت لها وأحسست باحترام لك ولمروءتك هذه ، وهذا ما جعلني أشعر برغبة اكثر للجلوس معك والحديث إليك، ورأيت فيك الطهر والنبل الذي لا يراه رواد الملهى ، ومن هنا يامارجريت تعمق احترامي ودعيني أقول حبي لك .

فترد وهي تبتسم :

- ماذا تعني بعمل آخر .. هل تريد أن تتزوجني.

- لا .. لا.. لقد أسأت الفهم ، أنا أقصد أن نبقى أصدقاء وأن أخرجك من هذا المكان إلى مكان آخر أكثر هدوء ، وأنظف وأطهر .

- يعني تأخذني إلى المسجد !

لا .. لا .. أنا أعرف أنك مسيحية من حديثي معك ، ولكنني تعلقت بك وبأحاديثك العذبة ولهذا أرغب في مساعدتك على الخلاص من هذه البؤرة التي أنت فيها .

- يا سيد عليوة أنا في واد وأنت في واد آخر .. أنا ألفت على هذه الحياة ، ولا أستطيع تغييرها ، وأنت عشت حياة مختلفة تماما، وحتى حياتك في باريس لم تستطع تغيير كثير من مفاهيمك ولا مبادئك ، فأنت تأتي من أعماق البادية ، فمن الصعب أن نلتقي وأنت من قرية في قمم الجبال وأنا من زاوية في قلب باريس.

دعيني أقول لك بصراحة .. أنني أرتاح إلى تحليلك هذا، ولكنني مازلت أصر على انك من الممكن أن تخرجي من هذا المكان إلى مكان آخر .

- يا عليوة هذا وهم تعيشه وعاطفة أشكرك عليها ، ولكن كلانا يختلف عن رفيقه ، فعد إلى جامعتك واتركني في هذا الملهى ، ومرحبا بك في أي وقت تأتي إلى هنا حتى على كوب ماء .

يخرج عليوة وينقطع عن زيارة الملهى وينشغل بدراسته، ولكنه يظل يفكر في تلك الفتاة «مارجريت» ويحاول الاتصال بها ثم يلقاها ويتحدث معها بصورة جدية عن رغبته في الزواج منها وأنه سوف يتغلب على كل العقبات التي تواجهه وسوف

يوفر لها المبلغ الذي يعينها على الإنفاق على والدتها التي كانت تعمل من أجلها .

تفكر «مارجريت» طويلا ثم توافق ، ولكنها تطلب أن يظلا في مرحلة الخطوبة لفترة لا تقل عن سنة فيوافق عليوة ويصحبها بين وقت وآخر للقاء الزملاء الذين بدأوا يألفون رؤيته معها وعلموا عن علاقته بها ، ويعلقون عليه عليوة «راندیفو».

بعد عام أخذها بيده واتجه نحو مكتب خاص للزواج ليوثق العقد ، فكتبت كل شروطها ، وكتب ما يريده منها ، وسألهما الرجل الذي يتمم إجراءات العقد الأولية :

- في أي كنيسة تريدان أن يعقد قرانكما

يصمت عليوة ويفاجأ بقولها :

- لا يا سيدي لا نحتاج الى كنيسة فقد أسلمت أنا الليلة وسوف نعقد قراننا في المسجد .

فرح عليوة وتم الزواج وعاد بها بعد الماجستير إلى تبوك وكانت ملتزمة ومتحجبة وفرحة بزواجها من عليوة وأسرها عطفه عليها وتضحيته من أجلها ، واستقبلها الأهل بشيء من الخوف والفرحة في البداية ، ولكن في النهاية رحبوا بها ، وبقيت مع زوجها .

ذات يوم اخذها وسارا في جنبات الوادي ، وفوجئ بها عليوة تلتفت الى الناحية الأخرى كلما حدثها ، وكأنها تتحاشى النظر إليه ، وعندما جذبها لاحظ قطرات الدمع تتساقط من عينيها فقال لها وقد سماها «جميلة» بعد اسمها السابق :

- يا «جميلة» لماذا تبكين .. هل تشعرين بأي قلق أو خوف أو رغبة في العودة الى باريس .

تمسح دموعها وهي تنظر إليه :

- لا يا عليوة إنني أشعر بأن هناك هبة من السماء قد هبطت علي حتى أكون في هذه الوديان الرائعة بعد أن عشت جوانب من حياة قاتمة في جنبات باريس في الملهى ، وأنا أرقص الديسكو واليوم أسير في الوادي معك فرحة بهذه الحياة الجديدة ، وصدقني أني معجبة جدا بهذه الآثار الجميلة ، وأشكر لك أن أعطيتني الفرصة لأرى قلعة المويلح ، والأزنم ، وقصر شواق، وكل هذه النقوش التي أراها بالبدع ، وقد كتبت عليها آيات قرآنية ، وكما أخبرتني أنت أن عليها آية الكرسي ، وسورة الإخلاص ، وتلك الشواهد على القبور بلغات تركية قديمة وعربية .. إنني يا حبيبي عندما مررت بهذه القرى ، ورأيت القرى الصغيرة منها ، المبنية على الحجر البركاني ، في بيوت متسلسلة وبسيطة ، ولاحظت حرصهم على وجود المساجد بينهم كمصليات صغيرة ، ولعلك تذكر ما قلته لك ونحن

نمر بأم قربات ، وأبو المرو ، وأم قزاز في طريقنا من الوجه بأنني مبهورة وأنا أتجول معك وخاصة هنا في البدع ، بهذه القبور التي أراها منحوتة ، والتي علمت أنها ترجع إلى العصر النبطي ، وبعضها يرجع إلى فترة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الفترة الإسلامية المبكرة.

- إذاً أنت معجبة بالآثار ولست معجبة بالعريس .

- لا .. أنت مكانك في القلب ولكني نشأت على ولع بالآثار، وعندما تجولت هنا فرحت ، وقلت في نفسي مالهؤلاء القوم لا يعتنون بآثارهم ، ولا يحرصون على تقديمها للعالم ودعوتهم لزيارتها واستكمال المطلوب لعرضها بطرق علمية حديثة .. أنا أعتقد يا عليوة أن منطقتكم هذه يمكن أن تكون رافد سياحي كبير يفد إليه الناس من كل مكان ، وأنا معجبة بكل ما أراه وهذا ما يجعلني أبكي فرحا ، فهل تفهمني .

يحضنها عليوة ويسيران في اتجاه المنزل وزخات من المطر تهطل عليهما.

زوجة فوق السطوح

أصرت الأم على ابنها «جميل» أن يتزوج .. وأخذت تلح عليه إلحاحاً شديداً وهو يتردد ويحاول الهروب واختلاق الأعذار .. فقد تزوج مرتين وحصلت صدامات بين الأم وزوجتيه السابقتين مما أدى إلى الطلاق والآن وبعد مرور عشر سنوات على طلاقه لزوجته الثانية تصر على تزويجه للمرة الثالثة وهو يرفض .. وهي تصر .. وأخيراً اقسمت عليه بأن يتزوج بعد أن تقدمت بها السن.

حاول «جميل» التفاهم معها كأم لا يريد أن يخسرها ولا يريد ان يظلم بنات الناس ، وأخيرا وبعد إصرار أمه يوافق على أن يتزوج بشرط أن يتزوج بدون ضجيج وبدون حفل زواج ، وبشرط أن لا يكون بينها وبين أمه أي اتصال ، وتتردد الأم ، وتستغرب هذا الشرط ، ولكنها أمام رغبتها في زواج ابنها توافق على مضض، ويتم حفل الزواج ، ويصعد جميل مع زوجته الجديدة إلى الطابق الثاني في الفيلا التي يسكنون فيها ليقيم مع زوجته هناك .

وتمضي الأيام ، وتبدأ الأم في غيرتها ومشاكلها مع زوجة ابنها .. تارة تشكوها إلى ابنها بأنها بدأت ترمي عليها من فوق بعض قشور الفواكه .. وتارة أخرى بأنها تقذف ماء الغسيل .. وبعض الأحيان تعمل ضجيج بفتح الأغاني .. وتقول له :

- يا ولدي هذي كل يوم تدبدب علينا وتزعجنا حتى أسأل الجاوية «نورمين» حقتنا .

وتتقدم نورمين وتقول له :

- يا عمي هذا ناس فوق يسوي غلبه كثير كل يوم دقو .. دقو .. ما نقدر ننام .. أمي ما يقدر ينام .. دقو .. دقو .

ويقول جميل :

أنا سأصعد إليها وأوقفها عند حدها يا أمي وأوريها العين الحمراء وآخذ حقك منها .

وتسمع الأم صوت الضرب .. وينزل إليها فتقول له :

- لا أريدك أن تضربها ولكني أريدك أن تفهِّمها لا ترمي علينا الأوساخ وعلب الكوكاكولا من فوق السطوح .

تتكرر الحوادث .. وتتكرر شكوى الأم .. وأخيرا يأخذها الابن إلى الطابق العلوي .. ويفتح الشقة .. وتفاجأ الأم بأن الشقة فاضية ليس بها أثاث .. وليس بها زوجة .. ويأخذها الابن إلى أسفل ويقول لها :

- يا أمي قلت لك لن أتزوج وأنت أصريت على الزواج .. وقلت بأنها ترمي حاجات من فوق .. ولا يوجد في الطابق العلوي أحد .. ولكن يا أمي أنت غيوره وشديدة الغيرة ، والغيرة تعمي .

خجلت الأم من نفسها .. ولم تملك إلا أن ترخي رأسها وتبتسم لابنها وتقول :

- سامحني يا ابني .. الأم تحب ولدها .. والغيرة ما تخلي الواحدة تفكر.

ويبتسم جميل ويضم والدته إليه ويقبل يدها ثم يلتفت إلى العاملة الأندونيسية ويقول :

- يا نورمين .. دقو ، دقو .. دقو ، دقو.

فتهرب الخادمة وتبتسم الأم .

أجراس الكنيسة

على ضفاف البحيرة في مدينة جنيف بسويسرا أخذ طفل يمشي على الكورنيش وفي ناحية قريبة منه فوق الحشيش وقف رجل يؤذن ثم صلى وبعد أن انتهى من الصلاة اقترب منه الطفل متسائلا :

- لقد أعجبني هذا الصوت الذي كنت تترنم به .. فمن أنت؟

فيرد الرجل :

- أنا مسلم من بلاد المشرق.

- وأنت يا بُنيي

- أنا مسيحي .. ولكني لا أذهب إلى الكنيسة وجئت مع مجموعة من زملائي الطلبة نزور جنيف .. بالمناسبة أنا كان عندي سؤال يشغلني دائما وهو لماذا لا تفكروا بأن تأتوا وتؤذنوا في الكنائس وتسمحون لأصحاب الكنائس أن يدقوا الأجراس في مساجدكم .

رد الرجل :

- لا يمكن ذلك يا بني فإن لكل ديانة تعاليمها وأصولها.

يرد الطفل:

- لكنني كما علمت وعندما سألت صاحب مسجد باريس إننا جميعا نعبد إله واحد أنتم تسمونه الله ونحن نسميه لورد (GOD)، ولكننا في النهاية نعبد إله واحد ، فلماذا لا تجتمع الكنيسة والمسجد على نفس الطريقة وتسمحون للمسيحيين بزيارة مساجدكم ، ويسمحون لكم بدخول الكنائس لأن مظهر القس يشبه مظهر الإمام وأنا عندما أتحدث للإمام أشعر وكأنني أتحدث إلى قسيس .

ويغتنم الرجل الفرصة ليقول للطفل :

- دعني أشرح لك يا بني أين نلتقي مع المسيحيين وأين نختلف .. نحن نؤمن بإله واحد ولا إله غيره ، ولا نؤمن بأن له زوجة ولا ولد .

- هذا منطقي جدا وأنا أرتاح لهذا التفسير .

- ولكننا نؤمن بالمسيح وأمه ولهما مكانة عظيمة في نفوسنا.

وفي دهشة يسأل الطفل :

- مادمتم تؤمنون بالمسيح فلماذا لاتؤمنون بالمسيحية ؟

- لأنه قد أدخلت عليها تحريفات كثيرة حتى جعلوا المسيح هو إله وابن الله وهذا لا يتفق مع العقيدة الاسلامية التي ترى أن المسيح خلق بمعجزة من الله ، وأمه طاهرة مطهرة ، والآيات

في القرآن تؤكد إيماننا بالمسيح وأمه ، بل إيماننا بجميع الأنبياء والرسل من أبينا آدم إلى رسول الإسلام محمد بن عبدالله .

- وهل تعني أن في قرآنكم نص على الاعتراف بالمسيح الأب والابن والروح القدس وبأمه !

- لدينا نصوص واضحة كما ذكرت لك ومن حسن الحظ أن القرآن معي .. اقرأ الترجمة بالإنجليزية إن هناك آيات توضح مكانة المسيح :

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾.

The Messiah, son of Mary, was no other than a messenger; messengers (the like of whom) had passed away before him. And his mother was a saintly woman. And they both used to eat (earthly) food. See how We make the revelations clear for them, and see how they are turned away.

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾.

O Mary! Lo! Allah hath chosen thee and made thee pure, and hath preferred thee above (all) the women of creation.

- هذا شيء يريحني كثيرا ، وكم أتمنى أن تشرحوا مثل هذه القضايا لنا في مدارسنا وفي إعلامنا ، فربما يؤدي هذا إلى تقارب أكثر بين الأمم والشعوب ، وكم أستغرب من المعلومات التي قلتها لي بالمقارنة مع ما وصلنا في إعلامنا ، بل وحتى في مدارسنا بأن نبيكم محمد هو رئيس الإرهابيين في أوروبا ، وأن كل التفجيرات التي تتم هو خلفها ، ولا تصلنا أي معلومات عن نبيكم ، ونحن في مدارسنا نتلقى هذه المعلومات ولم أسمع قط عن مركز ثقافي أو نشرة إعلامية ، أو حتى أحاديث في السفارة تصل إلى الناس عامة ، وإلى مراكز الإعلام ومدارسنا، فأنا أشعر أنكم تقصرون في إبلاغ هذه الحقائق لنا ، ونحن نؤمن بما يصلنا من معلومات من مدرسين ومن إعلامنا ، بل وحتى في أفلام الكرتون التي تقدم لنا .

- أنت صادق فيما تقول ، ونحن قصرنا ونقصر في إبلاغ الرسالة وتقديم النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لكم بل ولكل الناس خارج العالم الإسلامي .

- بالمناسبة دعني اسألك بكل صراحة هل تؤمنون باليهودية؟

- نحن نؤمن بسيدنا موسى أنه رسول الله إلى بني إسرائيل ولكنهم حرفوا وبدلوا، ولهذا لا نقبل اليهودية بوضعها الحالي ولكننا نظل نحترم سيدنا موسى عليه السلام ونؤمن بنبوته.

- أنا أشكرك على هذا الوقت ولكني مضطر للعودة لأن جماعة المدرسة أخذوا يتحركون في اتجاه الحافلة فأرجو المعذرة وأرجو ان يكون لنا لقاء آخر ليس بيني وبينك ولكن بين أتباع الديانات ليعينوا الناس على التقارب والتفاهم .. وبالمناسبة هل لديك ياسيدي نسخة من القرآن باللغة الفرنسية .

يرد الرجل :

- تفضل .. هذه نسختي من القرآن المترجم .. فمن دواعي سروري أن أهديها لك .

يرد الطفل مسرورا :

- وأنا أعدك أن أرسل لك نسخة من الإنجيل على عنوانك لأنني لا أحمل نسخة منه معي الآن :

يرد الرجل :

- أرجو أن أحصل على نسخة من الإنجيل الأصلي .

الطفل مستغربا :

- ماذا تعني إن الإنجيل واحد!!

الرجل مؤكدا :

- لا .. الإنجيل الأصلي يختلف عن الأناجيل التي بيد الناس، فقد تبدلت وأدخلت عليها نصوص ليست منها ولم ينزلها الله عز وجل ، ولم ينطق بها المسيح عليه السلام وكذلك الأمر نفسه في اليهودية .

الطفل مندهشا :

- هل تعني أن هناك تحريفات وتغييرات في الإنجيل والتوراة؟

يرد الرجل :

- نعم هذا ما ثبت عندنا ..

الطفل متسائلاً:

- هل حدثت تغييرات في قرآنكم كذلك مثل الإنجيل والتوراة؟

يرد الرجل :

- لا لم تحدث لأن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ القرآن لأنه خاتم رسالات السماء إلى الأرض .

الطفل :

- كلامك يثير حفيظتي ويعجبني ولكنني أسمعه لأول مرة.. على أي حال كل ما أستطيع قوله لك إننا استفدنا من حديثنا معا على الأقل لأننا لنا رب واحد وإله واحد مهما اختلفت التسميات.

واتجه نحو الحافلة وفجأة رجع الطفل وقال :

- يا سيدي أنا أرجع لك كتابك، فالمدرس عندما رآني طلب مني أن أعيده لك وحذرني من حمل مثل هذه الكتب وقال لي هذه تفسد عقيدتك المسيحية فأرجو المعذرة.

وأشار بيده مودعا ولحق بالحافلة.

بنات العمدة

في أعلى حارة القرارة وفي زاوية بيت داخل منزل تجلس مجموعة من السيدات لقضاء أوقات السهر والغناء ، وقد تعودن على مثل هذه الجلسات في أوقات الربيع ، وفي جلسات محدودة وآمنة ويختفين عن أنظار جهات الأمن التي تتابع مثل هذه النشاطات وتمنعها وتعاقب من يُقبض عليه في جلسات كهذه.. وكانت «مروة» فتاة من أسرة كريمة ومرموقة الجمال حلوة المعاشرة والبسمة واشتركت معهن في هذا المجلس ، وكانت تعنى بصورة خاصة بتوفير الشاي والقهوة لهن ، وتتطرب أيضاً لسماع الأغاني في تلك الجلسات التي كن يستمتعن بها ، وكانت سيدة تتصدر المجلس وتضرب على العود وأخرى على الطار، والجميع يصفق بفرح وسرور وسعادة بتلك الجلسة ، وهن في أمان لبعدهن عن أي مكان قد يثير الشبهة ، لأنهن يجلسن في أسفل الدار في منطقة القبو، ويحرصن على عدم سماع أصواتهن، وتتحرك مروة كالبسمة بينهن ويطلبن منها زميلاتها في بعض الأحيان أن تشارك معهن في الرقص وفي الغناء ، ولكنها تعتذر بأنها سوف تتفرغ لعمل القهوة والشاي .

فجأة يسمع طرق على الباب ، ويحاول الجميع الهرب من شتى المنافذ ولكن صاحب الشرطة يدخل ومعه بعض من أعضاء الهيئة ، ويقبضوا على من بقي في المجلس ، ويأخذهن لسؤالهن عن هذه الجلسة وأسبابها ومخالفاتهن لأوامر الحكومة ، وبعد أن تقوم الشرطة بأخذ هؤلاء إلى سيارات الجيوب يُلاحظ أحد الجنود أن هناك فتاة في الداخل ، ويشير الجندي إلى الضابط بأن هناك فتاة في داخل المطبخ ، فيأمره الضابط بإخراجها ، وعندما يدخل لأخذها يفاجأ بأنها تقول له :

- ابعد عني .. ناد الضابط.

فيتراجع الجندي وينادي الضابط ويصرخ فيها الضابط.

- ماذا تفعلين هنا؟!

فتقول له:

- أنا بنت العمدة يا حضرة الضابط .. أنا بنت العمدة.

فيقول لها:

- من العمدة؟!

فتقول له:

- عمدة القرارة حمزة .. أنا بنته..

فيرخي الضابط رأسه قليلا ثم يقول:

- حركوا الجيوب واذهبوا بهن.

ثم يحضر سيارة أخرى ويأخذها إلى بيت العمدة ويخرج عم حمزة متوشحاً بعمامته والصديرية على صدره والشوم في يده وينزل الضابط من السيارة ليقول له:

- يا عمدة العلم لك ..

- خير!! ..

- إن هذه البنت وجدناها في بيت صمدو في القرارة وقبضنا على مجموعة من اللاتي كن يمارسن اللهو والغناء ولكن هذه الفتاة قالت إنها بنتكم يا عمدة .

فتقدم العمدة إلى السيارة وقال:

- نعم نعم هذه بنتنا.. إيش جابك؟! إيش وداك يا بنتنا؟! شكراً يا حضرة الضابط.

وأخذها العمدة وأدخلها إلى الدار وشكر الضابط وبعد ان ذهبت سيارات الشرطة نادى زوجته وأخبرها بأن تأخذها إلى الداخل وتكرمها ثم عاد إليها وهو يسألها:

- إنت مين؟!

قالت له:

- أنا مروة بنت عمر طباخ..

- الله يا بنتي.. إنت بنت عمر طباخ ؟! وإيش وداك هناك؟! إيش وداك مع دوله الناس؟!

فتقول له:

- يا عمدة حكايتي حكاية طويلة ولازم أرويها لك وأنت تعرف بعض جوانبها.. يا عمدة أنا والدي كما تعرف منذ سنوات وهو مقعد بالمنزل بعد الحادث الذي ألم به وأخي «صديق» أودع السجن منذ سنوات لتعاطيه المخدرات وبقينا في البيت أنا وأمي وأختي الصغيرة وقد ضاقت بنا الأحوال يا عمدة وأصبحت الوالدة تقوم بغسيل الملابس للناس في الطشت بيدها وتقوم بعد ذلك بكويها وإعادتها إليهم مقابل أي مبلغ يعطونه لها واستمرينا يا عمدة على هذا الحال وشعرت بألم شديد وأنا أراها تكافح بمفردها وقررت أن أساعدها وفي المدرسة شرحت القصة بكاملها للمديرة الحبيبة السيدة «إنتصار» التي تأثرت عند سماع قصتي وسألتني:

- ماذا تريدين؟

قلت لها:

- لا أريد أنا مساعدة ولكني أريد أن تجدي لي فرصة للعمل هنا في المدرسة وأنا أقوم بعمل أي شيء ترغبين فيه بعد خروج الطالبات وسأنظف المدرسة وسأقبل ما تتفضلين به من مساعدة حتى أنفق على أسرتي وأساعد أمي. وتأثرت السيدة الكريمة وبدأت تساعدني وتوصي بعض السيدات اللاتي

لديهن مناسبات لأقوم بعمل الشاي والقهوة لهن في مكان بعيد من المنزل حتى لا يراني أحد لأن الناس تعرفني وتعرف والدي وأمي وأسرتي..

استمريت أقوم بهذا العمل يا عمدة وأكسب رزقي بعرق جبيني وأساعد والدتي التي كانت عندما تسألني عن مصدر هذه النقود أخبرها بأن المدرسة أصبحت تقدم جوائز للطالبات المتفوقات ولأنني متفوقة والحمد لله يعطوني هذه المبالغ ويجعلوني أشرف على بعض الطالبات الصغيرات .

فرحت الوالدة ولكنها حرصت على أن تتأكد من مصدر هذه النقود ومن كلامي فذهبت إلى مديرة المدرسة وتحدثت إليها وقد أكدت لها مديرة المدرسة روايتي لأني أخبرتها بما حصل وفرحت الوالدة واستمرينا يا عمدة على هذا المنوال.

والبارحة نادتني سيدة عندها جَمْعة على طرب وغناء ، وطلبت أن أقوم بعمل الشاي والقهوة لهم فحصل ما حصل ياعمدة .. وسامحني لم أجد مخرج إلا أن أقول للضابط بأني أنا بنت العمدة..

ونظر إليها العمدة وهو يشعر بالأسى والأسف وفجأة تكلمت زوجة العمدة:

- لكن هذه ما هي أصول تقولي للناس إنك إنتي بنت العمدة.

فالتفت العمدة إلى زوجته وهو يقول:

- اسمعي يا أم محمد كل بنات الحارة بنات العمدة وأنا مسؤول عن الأولاد والبنات في الحارة ..

- لكن ما يصير يا عمدة تقول إنها بنتك..

- أقولك اسمعي كلامي وأقصرى الموضوع .. كلهم بناتي..

وأخذها العمدة وخرج بها وأعادها للمنزل.. وشعر بإكبار عظيم لهذه الفتاة التي سلكت هذا السلوك لتعين أهلها وقال لها:

- لا تعملي بعد اليوم يا مروة وسوف أرسل لك بعض المال مساعدة لوالدتك..

فقالت مروة :

- لكن يا عمدة الوالدة لا تقبل صدقه ونبهتني إني ما آكل من أي أموال الصدقة لان الوالد كما تعلم من آل البيت سيد ولا نأكل من أموال الصدقه..

فقال لها العمدة:

- لا يا بنتي لا يا مروة أنا سأخبر أمك بأن هذه ديون كانت في رقبتي لوالدك عم صالح الله يشده بالعافية فقد كان يسلف الناس ولهذا ستطمئن والدتك وأنت لا تتدخلي في الموضوع من قريب أو بعيد..

وشعر العمدة بقطرات من الدمع تتساقط من عيون مروة ودخلت إلى الداخل.. واستمر العمدة يدعم الأسرة ثم بحث عن شاب من شباب الحارة يكافح في الحياة ولكنه عرف بمروءته ومن الشباب المحترمين وأولاد الحارة المتميزين ولكنه كان يعاني من ضائقة مالية فقدم له العمدة الدعم والمال وأخذه إلى بيت مروة وتحدث إلى والدها بأن هذا من أولادنا :

- هذا إبراهيم يا شيخ صالح ولد عم عزو الله يرحمه يبغي يخطب يد مروة وأنا أعرفه وأزكيه فهو من أولادنا الكمل يا شيخ صالح..

ويصمت العم صالح قليلا ثم يقول:

- لكن يا عمدة إبراهيم مين أخواله؟

فيرد العمدة:

- أنا خاله يا عم صالح..

ويرد أبو مروة .

- ونِّعم.. وأنا موافق على زواجها .. اعمل الترتيبات يا عمدة .. البنت بنتك على أي حال.. وأنا أحب أن السيد علوي مالكي يعقد لهم.

وتتم الترتيبات المِلْكَة والزواج في هدوء ويأخذ إبراهيم مروة إلى بيت أعده له العمَدة.. ويأخذها العمدة ليوصلها بنفسه إلى هناك مع أمها ثم يعودا ، ويعود العمدة إليها ويقول:

- يا مروة يا بنتي اسمعيني لا تنسي دلة القهوة وبراد الشاي ترى العريس كييف يا مروة.

وتحني مروة رأسها وهي تبتسم وتقول:

- الله لا يحرمنا منك يا عمدة.. كل بنات الحارة بناتك.. وأنت على الرأس دائماً يا عمدة..

وُيقفل الباب ويمضي العمدة في طريقه ليرعى بقية بنات الحارة وأولادها..

جابوا العيد جابوه

في زاوية من حارة الشامية ، وعلى مقربة من مركاز العمدة كان هناك منزل الشيخ صديق أبو الليل ، وكان من الرجال الذين اشتهروا بالمروءات والفزعات ، وقد أفاء الله عليه بالكثير من النعم جعلته يحتل مكانة بارزة بين رجالات الحارة ، وهو من جلساء مركاز العمدة، ومن الرجال الذين يهتمون بأعمالهم، ولكنه يعطي جزءاً كبيراً من وقته للاهتمام بقضايا الناس وخصوصا الولايا والضعفاء والأيتام في الحارة .

مر الشيخ «صديق» بمركاز العمدة مسلما وانعطف الى الزقاق ودخل البيت كعادته يسبح ويذكر الله ويردد كلمات الحمد والشكر، واستقبلته زوجته السيدة «نور» عند أعلى الدرج مرحبة وفرحة وهي ترتدي الكرتة، وعلى رأسها المحرمة ، ومدت يدها لتأخذ يده لتقبلها كعادة مثيلاتها من النساء في الحارة، فقد كان الرجل محل احترام وتقدير وتعلمن من أمهاتهن الطاعة والاحترام والحب المتبادل، وانحنى هو يقبل وجنتها ويدعو لها.

وهناك في طرف الصفة في البيت جلست أمها السيدة «سعاد» وكانوا ينادونها «أم الليل» فقد كانت تحب السهر وتظل بجوارها الراديو إلى وقت متأخر من الليل والإتريك يضيء الغرفة، فإذا نام الجميع أشعلت الفانوس لأن نوره أهدأ ، فسلم عليها وقبل رأسها وجلست إلى نصبة الشاي وإلى يمينها السموار، وبنت المنجل والبراد والفناجين، وكان الجميع يتجاذبون أطراف الحديث عن ما يجري في الحارة كعادتهم في جمع الأخبار .

هكذا كان العم صديق يعيش مع زوجته في هذه الأجواء الأسرية الرائعة، ولم ينغص حياتهم شيء أبدا على الرغم من أنهم عاشوا سنوات عمرهم الماضية ولم يرزقوا خلال حياتهم الزوجية بأي طفل ولكنهما كانا راضيان بقضاء الله، وكلما مرت بهم سيرة الأطفال كانا يتعاونان على تعميق الشعور بأنهما راضيان بفضل الله ممتثلين لأمره راضين بقضائه .

لكن السيدة «نور» زوجته كانت تتوق بين وقت وآخر إلى احتضان بعض الأيتام وتربيتهم، ولم تجد تجاوبا كبيرا من الأهل الذين كانوا يخشون من خطورة تربية اليتيم وما قد يقع عليه من قسوة أو ظلم، واتفقا على نسيان الموضوع بالرغم من أنه يتطرق بينهما دائما .

مضت الأيام على هذا النحو ، وفي الليالي الأخيرة من شهر رمضان دخل العم «صديق» إلى المنزل، وفوجئت زوجته بأن

معه ثلاثة أطفال صغار، وكانوا في منتهى البراءة واللطف ، وأقبلوا عليها في غير خوف ، وأخذت تحتضنهم ، وبدأت تعرضهم على والدتها وعلى أختها وعلى بقية من في البيت ، ثم التفتت إلى زوجها :

- يا صديق دول أولاد مين ؟

- هادول أولاد أعزاء على نفسي يا نور وكنت جالس في المركاز عند العمدة وجبتهم معاي هنا نفرحهم ونكسب ثوابهم.

- طيب أولاد مين هادول ؟

وصمت ولم يجب وكررت

- أمهم مين وأبوهم مين يا صديق؟

وقال في تلعثم :

- أمهم ماتت الله يرحمها.

- لا حول ولا قوة إلا بالله ياعيني عليهم هؤلاء الضعفاء ومين رباهم بعد كده .

- أهل الخير يا نور والحمد لله كبروا الآن زي ما أنت شايفه.

ووضعت الوالدة براد الشاي جانبا وارتفع صوتها تنادي ابنتها:

- يا نور هادول الأولاد سبحان الله شكلهم حلو ووجههم صبوح لكن سبحان الله يشبهوا بعض يا صديق وكأنهم توأم.

- أيوه يا خالة هم فعلا توأم ، وزي ما نقول في مكة يخلق من الشبه أربعين.

ويأخذ مكانه ويبدأ في تناول الشاي ، وتقرب له نور المنفوش، وتعود الوالدة إلى الحديث :

- يا بنتي هادول الأولاد سبحان الله يشبهوا صديق جوزك لا إله إلا الله الخالق !

ويحاول صديق إبعاد الحوار قليلا ، ويسأل :

- إيش أخبار بيت العمدة ، أنا والله فرحت لهم لأن ولدهم كمل القرآن ، يبغالنا نحن نسوي له حفلة ، هادول أحبابنا وهذا كتاب الله واللي يحفظه يستحق كل تكريم .

وتعود الوالدة إلى الحديث :

- لكن ما قلت لي يا صديق ، صحيح الأولاد يشبهوك ، وإيش حكاية هذا الشبه .

- يا ستي قلت لك يخلق من الشبه اربعين وخلينا نشرب الشاي ونروق ، وفضينا من السيرة، وخصوصا واحنا في آخر رمضان، وما ندري يكملوا الشهر وإلا يجيبوه ناقص .

- يجيبوه ناقص على إيه.

وتتدخل نور :

- إحنا ولفنا على كده ، ساعه يجيبوه ثلاثين ومرة تسعة وعشرين ومرة صومونا ثمانية وعشرين.

- يا ستي هذا مو ذنبهم ، هذا ذنب الناس اللي يروحوا ويشهدوا أنهم شافوا الهلال، وبعض الأحيان بلكن شافوا سحابة ويكون الإنسان اللي شاف الهلال نظره على قده ، وتخيل له إنه الهلال .

- والله صحيح كلامك يا صديق ، أنا في حياتي مع أبوك يانور كام مرة شفنا اختلاف على دخول شهر شوال ، ويوم صومونا في وسط النهار.

وتتدخل «عزيزة» في الحديث وهي أخت نور وكانت متزوجة ثم توفى زوجها وعاشت مع أمها وأختها في منزل الشيخ صديق.

- الحمد لله الآن ما فيه شيء اسمه تسعة وعشرين وثلاثين صاروا الآن يدققوا أكثر ، وفيه إشاعات إنه رايحين يستخدموا الحساب زي مصر والمغرب .

- لا .. لا بره وبعيد نحن جماعة ما نؤمن إلا برؤية الهلال زي ما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- أقولك يا نور لو سمحتي جيبي لي الجبة والعمامة أبغى أخرج على شان أصلي المغرب .

ويمسك بعصاه ويتوجه إلى الباب ويترك الأطفال معهم ، وعندما يعود يجد أن الموضوع قد اتسع ، ونور تتحاور مع أمها التي تقنعها :

- هؤلاء الأطفال يشبهوا صديق ، ولابد فيه سر واسألي يا بنتي عن الأمر.

ويأخذ صديق مكانه في انتظار أن يتناول طعام الإفطار بعد أن اكتفى بالتمرات وهو يتوجه إلى المسجد للصلاة ، وتنظر إليه نور نظرات ثاقبة ، ثم تدعوه لتتحدث معه في الداخل :

- يا صديق ترى أنا في نفسي شك من هذا الموضوع وكلام أمي صحيح أن الأولاد فيهم شبه منك .

- يا شيخه أمك الله يحفظها دائما ترمي كلام كثير ولا تشغلي بالك بهذا الموضوع .

- لا .. لا يا صديق أرجوك بالعشرة التي بيننا تقول لي الحقيقة كاملة .

- إيش الحقيقة اللي تبغيني أقولها.

- إنت عارف أنا أبغى إيه يا صديق ، لكن أسألك بالله تقول لي الحقيقة .

ويرخي صديق رأسه ثم ينظر اليها ويقول :

- لو سمحتي اقفلي الباب حتى ما يسمعنا أحد .. شوفي يا نور أهل مكة يقولوا ربك وصاحبك ومرتك لا تكذب عليهم.

- لا يا صديق المثل مو كده المثل يقول: ربك وصاحبك لا تكذب عليهم وأنت أضفت مرتك وكأنه فيه شيء في ذهنك تبغى تقوله وتقدم له ، قول لي الحكاية بصدق .

- يا نور ما أكذب عليك أنا إن شاء الله صادق في كل كلمة أقولها، هادول الأولاد لهم قصة عجيبة وغريبة زي مايقولوا الناس ، قبل أربع سنوات كنا في المركاز عند العمدة ، وبعدين دخلنا ولعبنا بلوت مع بعض أنا والزملاء، وجاني الشيخ جميل هليكة وروى لي قصة زميل من زملائنا تعرفيه «عبدالله شرب».

- عبدالله شربة ؟

- أيوه .. عبدالله شربه صاحب محل الشربة اللي تعرفيه في الشبيكة وروى لي قصته أنه في كرب عظيم لأن أخته تخاصمت مع زوجها وطلقها بالثلاث وحرّمها وراحوا للشيخ وحاولوا الإصلاح بينهم هي رغبانه فيه وهو رغبان فيها ولكن في ساعة شيطان أصبحت تحرم عليه .

- يا خويا إنت قاعد تروي لي قصة ألف ليلة وليلة ، وأنا اسألك عن هادول الأطفال وإيش قصتهم.

- اصبري يانور وخليني أكمل كلامي.

- كمل ياخويا حتى نشوف الله يجيب العواقب سليمة.

- لما كلمني العمدة والشيخ الهليكة وذكروا لي أنهم يبغوني أتوسط في الموضوع لأنهم يعرفون أني ما أجيب بزورة وترجوني أن أتزوج هذه الحرمة لليلة وأطلقها وتعود لزوجها بعد العدة، فأكون جمعت شمل العيلة بدون ما يكلفني الأمر شيء ، وتحاورنا في الموضوع وتأخر النقاش إلى ساعة متأخرة في الليل ، وفي اليوم الثاني عدنا إلى نفس الموضوع وأخيرا اقنعوني بأن اتزوج أخت عبدالله شربه «فوزية» لليلة واحدة بنية أني أحللها له .

- لكن هذا حرام يا صديق الناس دول عقلهم كان فين ؟

- اصبري يا نور خليني أكمل لك الحكاية أنا بصراحة ضعفت يا نور وقلت خليني أجبر خاطرهم وخفت من زعلك، وفعلا بعد أسبوع طلقتها وانتهت الحكاية، ولا من سمع ولا من دري ، ولكن قبل ما تنتهي عدتها كلمني العمدة وقال ترى فيه موضوع خاص بدي أقولك عليه يا صديق ، البنت فوزية اللي تزوجت عليها حملت منك ، وما يمكن تتطلق إلا بعد ما توضع ولدها أو بنتها ، فأرجوك كمل الموضوع ، ووقعت في موقف حرج ، وفي الوقت نفسه سبحان الله كيف أراد الله أن يرزقني بهذا الطفل في مثل هذه الظروف الحرجة ، وما كنت شايل هم أحد قد همك .

- وبعدين يا خويا وبعدين ؟

- بعدين طلقت الحرمة وانتظرت ولادتها، وسبحان الله قال الدكتور في الصحية إنها حامل بثلاثة توائم ، وفعلا وضعت التوائم وظليت أربيهم وأراهم من بعيد لبعيد ، وتعاونوا معي العيال في سترة الموضوع حتى لا يوصل لك ، ولكن في الأسبوع هذا صار شيء ما هو في الحسبان يا نور أم الأولاد هادول فوزية توفت ، وقعدت أفكر كيف أتصرف ، وأخيرا قررت أن أجيبهم على أننا نربيهم ، وأنت طول عمرك تحبي تربي أيتام ، وأن أقول لك الموضوع بالتدريج .

وبدا الغضب على وجه نور.

- ثلاثة اولاد دفعة واحدة ، والله لو كنت صاروخ ما سويت هذا كله .

يا ستي صلي على النبي واذكري الله ، ما يصير في الكون هذا إلا ما يقدّره الله .

وأرخت رأسها في صمت ، وفجأة دخلوا الأولاد أولاد أختها مع أولاد الجيران ويندفعون ليقبلوا الشيخ صديق ونور وخالة «جميلة»، وضموا الأطفال الصغار معهم، وأخذوا يرقصون ويرددون :

- جابوا العيد.. جابوا العيد يا عم صديق .. يا خالة نور ، يا ستي جابوا العيد .

ضربت مدافع العيد ونادى المنادي ووقفت نور ولم تجب على أحد ، ولكن أخذت تنظر إلى الأولاد وهي خارجة من الغرفة وتقول :

- الحمد لله .. ومبروك على العيد يا أولاد لكن عمكم صديق جاب العيد قبل العيد .

- يعني جابوه يا عم صديق وأنت عارف وما تقول لنا .

وترد نور :

- عمكم صديق جاب العيد .. جاب العيد .

ويأخذ صديق طريقه إلى الباب ويذهب إلى الخارج وهو مطأطئ الرأس، ويفكر بعمق والتوائم يلعبون مع الأولاد، والكل فرح بالعيد ، وفجأة تأتي أختها «جميلة» وتأخذ بيدها وترجعها إلى الغرفة :

- اجلسي يا أختي.. اجلسي يا نور.. سامحيني ترى أنا كنت جالسة في المخلوان ، وسمعت الحكاية كلها من أولها لآخرها.

- خليني في حالي وفي كربتي.

- اسمعي يا نور أنا سمعت الحكاية زي ماقلت لك وترى فيه سر ما حد يعلمه إلا الله ، وأنا أشهد أن عم صديق بريء وصادق وأرجوك افهميني.

- أفهمك إيه ، روحي عني أنا ما أنا ناقصتك .

- افهمي يا نور.. لما سافرتوا العام ورحتوا الطائف في الصيفية وجلست أنا والوالدة وأعطيتيني مفتاح الصندوق على شان أخرج فلوس للحاجات اللازمة للبيت كنت كل ما أفتح الصندوق أشوف ظرف أصفر محطوط ومقفل، وفي الآخر أغرتني نفسي أن أفتح الظرف وأشوف إيش فيه ، وسامحيني إني فتحته مع أنه مكتوب عليه ما حد يفتحه إلا عم صديق.

- وه .. يابنت يا قوية .. أنا ما فتحت هذا الظرف !!

اصبري على رزقك ياستي رب ضارة نافعة، لما فتحت الظرف وجدت فيه خطاب وتقرير طبي من الدكتور عصام كمال طبيب أمراض النساء اللي رحتوا له انتي وعم صديق ، ولما طلعت النتيجة ما رضي يقول لك الحقيقة وهي أن العيب عندك في الرحم، وأنك ما تحملي، وما حب يجرحك، وظل التقرير سري وطلب ما حد يفتح الظرف، هذي حقيقة الموضوع يا أختي هذا الرجل النبيل كل السنوات وهو صابر ولكن كأنها إرادة الله ربنا عوضه من حيث لا يحتسب .

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. أنا ظلمتك يا صديق صحيح أنك راجل نبيل وابن حلال ، أنا إن شاء الله ما أنسى لك هذا الجميل.

وفجأة يدخل العم صديق ، وتلقاه نور وتقبل يده ثم تحتضنه وهي تقول :

- يا صديق دول أولادي زي ما هم أولادك ، وأنا راح أشيلهم في عيني وربنا عوضنا صبرنا ، وسامحني يا صديق ترى أنا فتحت الصندوق وخرجت الظرف وقريته .

ويرخي رأسه ، وترى قطرات من الدمع تنحدر من عينية وتتقدم وتمسحها وهي تقول :

- خلاص يا صديق خلينا نعيد .. جابوا العيد .

وتمسك بأيدي الأطفال وتدور معهم والجدة تدور معهم ، والكل ينادي :

- جابوا العيد .. جابوا العيد واليوم يوم السعد .

مارجريت في دكة العبيد

في أسفل حارة الشامية وفي جانب من الزقاق المؤدي إلى الحرم تتواجد أمامه برحة صغيرة عليها دكة مرتفعة عرفت بدكة العبيد، وهي المكان الذي يتم فيه بيع العبيد والجواري الذين يجلبون من خارج البلاد عن طريق البر أو البحر ، وكل منهم مملوك بموجب وثائق ومالكه إذا رغب في تقديمه للبيع يدفعه إلى شيخ الدلالين ليتفحص أوراقه أو أوراقها إذا كانت جارية. ثم يسأله عن المبلغ الذي يطلبه قبل إعلان الحراج على المملوك. ثم يدخله إلى الحجز ويبدأ بالإعداد للدكة وصعود العبيد والجواري لها للإعلان عن بيعهم. ويقود هذه العملية شيخ دلالين العبيد وهو مالك الدكة والمتصرف فيها، ويقوم مساعدوه بوضع المملوك على الدكة ويلتف الراغبون في الشراء حول الدكة ويبدأ الدلال في الإعلان عن العبد أو الجارية عن عمره ومميزاته، ويتوالى صعود الجواري والعبيد الواحد تلو الآخر، ويعلن الشيخ بدء المزاد وتبدأ المنافسة.

هكذا كانت تجري عملية بيع العبيد في الدكة ، ومن حق أي راغب في الشراء أن يصعد الى الدكة ويفحص المملوك المعروض

للبيع عبداً كان أو جارية وكان بعض هؤلاء المملوكين يتمرد على الصعود ، ويرفض ويحاول أن يحتج بأنه حر ، وأنهم اصطادوه وهو في طريقه إلى مكة لأداء فريضة الحج ، أو في بلاده في أفريقيا عن طريق الفئات التي كانت تحتال على الأفارقة وتصيدهم ثم تأخذهم بعيداً عن أهاليهم ، ويتم نقلهم من بلد إلى بلد إلى أن يتم بيعهم بعيدا عن مواطنهم.

لكن صراخ هذا العبد أو تلك الجارية لا يفيده شيئاً ، لأنه يجبر على الصعود إلى الدكة وإذا ازداد تمرده فهناك فرقة من العبيد متخصصة في تأديبه أو تأديب الجارية إذا رفضت ، ليتواصل الحراج والتنافس على الشراء.

ولم يكن هذا يقتصر على أفريقيا ، بل أن هناك فئات كانت تجلب أيضاً عن طريق اصطيادهم او خداعهم في أجزاء من آسيا الوسطي ، وحتى في بلاد الشام كانت هناك مصادر لبيع الفتيات الشركسيات اللاتي كن يجلبن لبيعهن في أنحاء متفرقة من البلاد العربية، وقد كان المنظر مؤلماً خاصة عندما تستجلب الفتيات ويدفعن إلى الدكة ، ويقوم الراغبون بالشراء بتفتيش كل واحدة تفتيشاً ذاتيا ، وهذا يعرضها لكثير من الإهانة والإحراج ولكنها لا تستطيع أن تعترض وإذا اعترضت عوقبت على ذلك.

في صبيحة يوم السبت وبداية الأسبوع فتحت الدكة وتقدم الشيخ «حمدتو» وأخذ بيد جارية جميلة بيضاء وقدمها على

الدكة وأن اسمها «قمرية الزمان» وقد كانت جميلة فعلا حتى قال عنها أحد الحضور:

- «هذه جارية فريدة ومتميزة».

وبدأ الناس في الصعود للدكة للحديث معها وفحصها ، وفي إطار المزايدات يتقدم الشيخ «عبدالصمد هليكه» برفع السعر إلى 50 جنيه جورج، ولكن شيخ الأغوات كان يرغب في شراء جارية لخدمته في منزله فيزيد السعر إلى 70 جنيه ثم يرفع الشيخ هليكه السعر إلى 80 جنيه، والشيخ حمدتو فرح بالمزايدة لأن هذا الثمن مرتفع، وهو يستفيد من مبلغ الدلالة، ولكن شيخ الأغوات يزيد في الثمن إلى 90 جنيه جورج فيلتفت إليه الشيخ عبدالصمد ويقول:

- يا شيخ نور الدين ليش المزايدة هذه والمضايقة وإيش تبغى بالجارية وأنت راجل أغا وشيخ الأغوات وهذه شابه.

ويرد الشيخ:

- أنا حضرت لأني أرغب في شراء جارية تخدمني في المنزل وقد بدأ يتقدم بي السن ورغبت في هذه الجارية وأنا أولى بها.

ويرد الشيخ مصطفى:

- أنا أرفع السعر إلى 100 جنيه جورج والدلالة بره.

ويصمت الجميع ويقفل المزاد على الشيخ عبدالصمد هليكه، ويتقدم هو لأخذ الجارية والكل يحسده على هذه الصفقة ، فقد كانت جميلة رائعة القوام وكان يتمناها الكثيرون ، وتقدم الشيخ عبدالصمد ودفع المبلغ وسلم الشيخ حمدتو الدلالة وأخذ الجارية وسار بها إلى منزله.

وما إن دخلت قمرية المنزل وقابلت «عزيزة» زوجته حتى لاحظت الجارية أن وجه السيدة قد تغير واستقبلتها بفتور فانكبت الجارية وأخذت تقبل يدها:

- «ستي أنا خدامتكم وبين يدكم أنا جاريتكم».

- والله احنا ما نحتاج جواري لكن الله يجعل العواقب خير.

وسار الشيخ عبد الصمد إلى الداخل وبدأ الشك يملأ قلب «عزيزة» وحرصت على أن تضعها في مكان بعيد في المنزل بجوار «المركّب» وهو المطبخ وكانت دائمة المراقبة ولا تفارق زوجها.

واستمرت الحياة في المنزل على هذه الوتيرة ، وارتاحت عزيزة لأخلاقيات الجارية ومهارتها في الطبخ والخدمة ، ومع ذلك ظل خوفها مستمراً، وكان الشيخ صديق يسعى لزرع الثقة والطمأنينة في نفس زوجته ، فابتعد عن الجارية ولكنه عاد في الصباح بعد أن صلى في المسجد الحرام ودخل إلى المنزل في هدوء وأخذ طريقه إلى السطوح حيث ينام هو وزوجته ولكنه لمح الجارية في غرفتها

فدخل عندها وظل معها بعض الوقت وهي مستسلمة لأن هذا سيدها وبعد فترة أخذ طريقه إلى السطوح ونام بجوار زوجته وبعد شروق الشمس أيقظها لينزلوا ويتناولوا طعام الإفطار وإذا بها تنظر إليه غاضبة.

- أنا قلت لك من يوم ما جات هذه الجارية أنه قلبي خايف وعارفتك ما جبتها إلا لغرض في نفسك أنا ما أحب أن هذه الجارية تبقى ولا يوم في البيت.

وحاول أن يهدئ من روعها وينكر أي اتصال بينه وبين الجارية.

- يا أم أحمد هدي نفسك وأرخي صوتك الجيران جنبنا في الأسطحه وصوتك مرتفع وأنا جاي من الحرم خلي الكلام لما ننزل أسفل.

- ما في أسفل ولا فوق أنا ما عاد أقبل هاذي الجارية.

- طيب صلي على النبي.

- اللهم صلي على محمد.. لكن قلت لك من يوم ما جات هاذي الجارية وأنا عارفه إنك ما جبتها لخدمتي أنا ولكن لخدمتك أنت.

- يا عزيزة إيش الموضوع الذي خلاك تقولي هذا الكلام؟

- الذي خلاني أقول هذا الكلام إنك دخلت عند الجارية وإنت طالع.

- أنا يا عزيزة!!

- أيوه أنت.

- ومين قال لك هذا الكلام؟

- اسمع يا صديق أهل المثل بيقولوا شيء يبغاله شهود وشيء شهوده منه وفيه.

- إيش تقصدي يا عزيزة !!

- اقعد طالع في نفسك وشوف انت لابس سروال الجارية ليه.

ونظر صديق إلى نفسه بخجل فقد كان بالفعل في عجلة من أمره عندما دخل إلى الجارية وخشي أن يتأخر فارتدي سروالها بدلا من سرواله وطاح على عزيزة يقبلها ويقسم لها بأنه سوف يبيعها ولن تبقى في البيت.

ثم نزلا إلى الأسفل وتناولا الإفطار وفي نفس اليوم يأخذها إلى بيت أخته ليبعدها هناك ولكنه يلاحظ أن «عديلة» أخته أيضا لم تقبل بالوضع ، وأخبرته بأنها لا تستطيع قبول بقاء هذه الجارية معها لمدة طويلة:

- أنا ما أقدر أخون عزيزة وأخون العيش والملح الذي بيني وبينها.

- يا ستي أنا بابحث عن طريقة أبيعها بهدوء .

- يا سيدي الموضوع ما يحتاج طريقه الدكة موجوده روح بيعها حتى لو خسرت فزوجتك مخلصه لك.

وتستمر الأيام وتبدأ عديلة في الارتياح للجارية وأدبها ومهارتها ثم سمعتها في بعض الليالي تقرأ القرآن وتبكي في غرفتها فرق قلبها لها وأخذت تجلس معها واستطاعت أن تعرف قصتها وأنها خطفت من أهلها وظلمت ويرق قلب عديلة لها وهي تستمع إلى المشوار المؤلم الذي مر بهذه الإنسانة ، ويدخل صديق إلى بيت أخته فيشاهدها حزينة متألمة ويستغرب فيأخذها إلى جانب من البيت.

- خير إن شاء الله يا عديلة ليش منكدة إيش اللي حصل.

- يا صديق الموضوع أكبر مما تتصور وأنا ما أقدر أشارك في ظلم أكثر من كده.

- ظلم أيه يا عديلة.. ظلم إيه الله يبعدنا من الظلم.

- هذي الجارية مظلومة سرقوها وباعوها وهي بنت ناس.

- ومين قالك هذا الكلام؟

- تعال نجلس معها واسمع قصتها.

وتبدأ قمرية في رواية قصتها وهي تبكى حتى أبكتهم جميعاً:

- لقد كنت أنا وأختي نسكن مع أمي وأبي في لبنان وكنا في سعادة تامة ووالدنا يذهب للتجارة في دمشق ويعود وقضى حياته بين دمشق وبيروت، وكانت له شهره في تجارة الملابس ولكنه ذهب في يوم من الأيام إلى الشام وأصيب بمرض أقعده لعدة أيام ثم بدأ يحس بوطأة المرض وشدته ونحن في قلق لأنه تأخر علينا وأخيرا علمنا بمرضه فذهبنا مع أمي إلى الشام ورأيناه وهو في كرب عظيم وظلينا معه نرعاه ونحاول علاجه وكانت أمي في بعض الليالي تذهب لبيع بعض البضائع التي كانت معه حتى تطعمنا وتعالج والدي ولكن المرض اشتد عليه وتوفى ودفناه في الشام ولم يكن مع أمي ما يكفينا للعودة فظلت تعيشنا على الكفاف لعدة أيام ثم جاءت سيدة من الجيران وكانت تحضر لنا بعض بواقي الطعام وكنا نتأفف في أول الأمر لأن معظمه طعام مختلط وقد تعودنا على حياة طيبة في منزلنا ولكن الوالدة كانت تخفف علينا حتى ألفنا على أكل ذلك الطعام أو بقايا الطعام واستمر ذلك العناء وجاءتنا سيده وذكرت لأمي أن هناك من سيستفيد من خبرتها في عمل الأكل ويعطيها مبلغ طيب وهم عائلة كريمة فوافقت الوالدة وبدأت تذهب وتقوم بالخدمة عند الناس وتتركنا في المنزل مع تلك السيدة وهي تحرص على جمع أي مبلغ ليوصلنا إلى أهلنا في لبنان. ولم يكن هناك أي وسائل للاتصال.

وحدثت المفاجأة الكبرى ونقطة التحول يا سيدى في حياتي وحياة أختي عندما ذهبت الوالدة للعمل وجاءتنا السيدة واخذت بيدنا لكي نذهب معها إلى مكان تنتظرنا فيه الوالدة وخدعتنا وقد سرنا لمسافات طويلة وركبنا عدة مواصلات وابتعدنا كثيرا من المكان الذي كنا فيه وفجأة أنزلتنا هناك وبتنا ليلتنا ثم في الصباح واصلنا المسير حتى حطينا الرحال في منطقة بعيدة من المدينة وكأنها قرية أو مرابع بادية وقدمتنا هذه السيدة النمرودة إلى الناس هناك على أننا جواري وباعتنا لهم وحاولنا بكل جهودنا أن نتخلص من تلك المصيبة ولكن لم يسمعنا أحد ونحن فتاتان صغيرتان.

واستمر المشوار وهربت تلك المرأة الملعونة وتركتنا وبقينا في ذلك المكان إلى أن بيعت أختى لرجل في شمال العراق وأخذوها وغصبوها على الرحيل وباعوني أنا لقافلة أخرى كانت مارة ووقفت أسمع الحوار والنقاش على الثمن وحاولت أن أهرب ولكن بدون جدوى فقد كان المكان بعيدا وأنا لا أهتدي على الطريق وظليت أبكي ولا أحد يسمعني وأخيرا شعروا بميولي للهرب فكانوا يربطونني طوال الليل وحتى في النهار على مقربة منهم إلى أن وصلنا إلى مدينة تبوك وهناك تم بيعي لرجل من وجهاء الناس وقد عرفت ذلك لفخامة البيت الذي أدخلوني فيه وهو مليء بالخدم والجواري وفرح بي الشيخ الذي اشتراني وكان اسمه الشيخ «عدنان الطبوشى» وظل يرعاني ويهتم بي

ولم يقترب مني ولم يحاول أن يؤذيني وبعد سنوات بلغت رشدي وسمعت الجواري والخدم يطلقن الزغاريد وأصوات الفرح وهن يقمن بابلاغ الشيخ بأني قد بلغت الرشد وجاء الشيخ وأخذني إلى مكان خلوته وقدم لي الهدايا وعطف علي وأخذ يعودني على نفسه وأصبحت أنام عنده في غرفته ولم أنجب أطفال. وقد توفى الرجل وباعني أولاده في سوق العبيد وتنقلت في عدة أمكنة وكنت أعاني معاناة شديدة من انتهاكي من قبل الدلالين والرجال الذين اشتروني من دكات العبيد بل وحتى أولادهم في بعض الأحيان وخدمهم وضاقت بي الحياة وأخيرا تم بيعي مع رحله ذاهبه إلى مكة واشتراني الشيخ «الخياط» وبقيت عنده ولكن زوجته رفضت واضطر لإرسالى إلى دكة العبيد حيث التقيت بك يا سيدي عبدالصمد واشتريتني من هناك .

ويشعر عبدالصمد بألم وحزن وهو يستمع إلى قصة قمرية، ثم يمسح على رأسها بيده ويقول لها.

- لا تخافي سوف أزوجك على واحد من عبيدنا وأوفر لك كل ما تحتاجينه وتنظر إليه.

- يا سيدى صديق أناشدك الله أن ترحمني وتعيدني إلى أهلي في لبنان وأنا أتعهد لك بأن يدفعوا لك القيمة التي اشتريتني بها.

- لا يا قمرية انا إن شاء الله أبذل جهدي وأجعلك حرة وأرجعك لأهلك وهنا تتدخل «عديلة».

- اسمع (يا صمدو) أنا أشاركك في ثمنها وخذ الأساور حقتي والخواتم وبيعها مساهمة.

- لا.. لا يا عديلة إن شاء الله ما نحتاج إلى أي شيء.

ويخرج ويسير في اتجاه الباب ثم يعود ويوصي أخته بها ويظل الشيخ (الهليكه) يفكر في الموضوع ثم يقرر أن يأخذ هذه الجارية إلى أهلها في لبنان ويتحدث إلى زوجته عن رغبته بالسفر لمتابعة موضوع الحجاج لأنه مطوف ولابد أن يقوم كالعادة بزيارة حجاجه في تركيا، وقد أقنعها بأنه تفاهم مع (حمدتو) الدلال على بيع الجارية ويرتب للرحلة ويأخذ الجارية إلى لبنان.

وقد كانت مفاجأة كبيرة له أنها كانت تعرف مكان أهلها رغم أنها تركتهم صغيرة وأخذته إلى القرية ودخلت إلى أهلها وعرفتها أمها وأهلها واحتضنوها وقصت عليهم قصتها وما قام به الشيخ عبدالصمد هليكة معها وإنه أعتقها ولم تعد جارية وقالت :

- لقد أصبحت أحس بارتباط كبير بهذا الإنسان ذي القلب الكبير والنفس العالية المليئة بالرحمة.

تسأل قمرية عن أختها «سونيا» فتخبرها أمها بأنها تعيش الآن في الكويت وهي سعيدة وقد تزوجت هناك وتعدها بأن تعطيها عنوانها حتى تلتقي بها.

يبقى معهم الشيخ هليكة لعدة أيام ثم يخبرهم برغبته في العودة ويستعد للرحيل وعلى أطراف المنزل يقف وهو يحمل

حقيبته ويفاجأ بأن قمرية تتبعه ومعها حقيبتها وقد ارتدت ملابسها وتحجبت ويسألها

— ماذا يا قمرية؟ إلي أين أنت ذاهبة؟

– أنا أشتقت يا سيدي عبدالصمد إلى الحرم وإلى الطواف وإلى زمزم وزي ما أنت عتقتني وجعلتني حرة لوجه الله قررت أن أعطيك نفسي وأبقى تحت أقدامك وعلى الرغم يا سيدي من ألم المشوار الذي عشته والألم الذي عانيته إلا أنني فرحت بدخولي إلى الإسلام وفرحت أن أحداً من أهلي لم يعترض وأنا عائدة معك وبين يديك.

وتودع أهلها وتنطلق مع الشيخ عبدالصمد عائدة وتلقاها أخته في مكة وزوجته بعد أن سمعوا قصتها ومشوارها وتتقدم «عديلة» تحتضنها وتلتفت إلى عبدالصمد.

– صحيح يا عبدالصمد زي ما قالوا ياما في الدكة معاتيق وياما في السجن مظاليم والكون عامر ومرحبا بك يا قمرية قمر ينور البيت وبكره أخذك إلى الحرم تطوفي ونطوف ونشرب من زمزم. ونوقف في الحجر تحت المرزاب هذا يا قمرية مشوار جديد في حياتك وحياتنا .

وتقبل قمرية وهي تضمهم والدموع تتساقط من عينيها ولكنها في هذه المرة دموع الفرح والسعادة.

جندي رقم 707

ويتحرك الجيش باتجاه معسكر العدو في تلك الصحراء القاحلة.. وبدأت كتل العدو تنسحب إلى الخلف قليلا قليلا ، والجنود يتقدمون للإجهاز عليهم.. وينظر الجندي رقم 707 فيما حوله ثم يتقدم وقد وضع يده على الزناد.. وتتحرك الجموع من حوله.. وفجأة يصدر أمر قائد القوة بأن يتحركوا بسرعة إلى الأمام ويتقدم هو مع تلك المجموعة إلى تلك المنطقة التي أشار إليها القائد وقد انسحب منها جيش العدو تماما والخنادق ماتزال مفتوحة .

فجأة يلاحظ «مسفر» أن هناك جسماً يتحرك في أحد الخنادق وخشي أن يكون جندي من جنود العدو يتربص بهم واقترب في احتراس ليجهز عليه ولكنه عندما اقترب لاحظ جندي وسلاحه بجواره وهو ينزف دماً ويصيح من الألم فتقدم مسفر وهبط إلى الخندق وأخذ يساعد الجندي من جيش العدو على تجاوز محنته وحاول ربط الجرح الذي أصابه ، والرجل يتألم ألماً شديداً وهو يقول له:

- لقد ضاقت بي الحياة أرجوك أقضي علي وأنهي حياتي فما عدت أتحمل هذا العذاب .. إن الجرح غائر في جسمي .

ولكن مسفر يواصل تضميد الجراح وهو يقول له:

- لا بأس عليك إني سوف أساعدك على كل حال وبقدر ما أستطيع..

ويقول الجندي الجريح:

- إنني أستغرب من عملك هذا !!.. ونحن جنود في معسكرين مختلفين وكلانا يريد أن ينتصر على الآخر.

ويقول مسفر:

- كلانا ضحية من ضحايا الحرب ، ولا نعرف لماذا حتى أتينا إلى هنا .. مجرد إطاعة أوامر.

وتزداد حالة الجندي سوءاً وبدأت صحته في التدهور ويحاول مسفر إنقاذه بكل طريقة ثم لا يجد حلا إلا أن يحمله على ظهره ويسرع به إلى الخلف إلى المعسكر وقدمه إلى طبيب المعسكر الذي أخذ يعالجه وهو ينظر إلى مسفر ويقول له:

- هذا جندي من جنود الأعداء؟! هل تعرف ذلك؟!

فيقول مسفر :

- نعم ولكنه ضحية يا سيدي الدكتور من ضحايا الحرب وإنسان يستحق أن نعينه ونخفف هذه الآلام التي يحس بها.. ونحاول إنقاذ حياته كإنسان .

فينقذه الطبيب ويبدأ في علاجه ثم ينظر إلى مسفر فيقول له:

- لكن كيف أحضرته إلى هنا دون علم الضابط يا مسفر؟!

فيقول مسفر:

- يا سيدي أعتبره أسير من أسرى الحرب..

ويستمر الطبيب في علاجه ثم يضعه على السرير ويخف الألم وينظر إليه الجندي وهو يقول:

- يا مسفر لقد قمت بعمل إنساني لا يمكن أن أنساه أبداً..

وتبدأ حالة الجندي في التحسن.. ثم بعد شفائه ينقل إلى معسكر الأسرى ويسلم هناك ويودعه مسفر وهو يقول له:

- أتمنى أن لا تعود إلى ممارسة هذه اللعبة مرة أخرى..

فيرد الجندي:

- ليست بأيدينا يا مسفر إننا وأنت وكل هؤلاء وقود من وقود هذه الحرب..

ويعود مسفر إلى المعسكر ويقوم الضابط بإخبار قائد القوة بما حدث وما قاله مسفر.. فيناديه القائد وهو يقول له:

- يا مسفر لقد بلغني ما قلته وأنت تساعد الجندي الجريح.. وأنا أريد أن أصحح لك يا مسفر إننا لا ندخل هذه الحروب عبثاً ولا تسليةً ولكنها أمور من واجبنا أن نؤديها فهذا وطن يجب أن نحميه وهو أمانة في أعناقنا وهؤلاء القوم هاجموا وطننا وحاولوا الاعتداء علينا ولا يمكن أن نقف مكتوفي الأيدي صحيح أن هذا الجندي كما قلت لا حول له ولا قوة ولكنه طرف في تلك القوة الظالمة التي تريد أن تهاجم وطننا ولابد من الدفاع عنه.. هل تفهمني يا مسفر؟

قال مسفر:

- يا سيدي إنني أقدر ما تقول، ولكني في النهاية أشعر بأن هناك رجالاً هم ضحايا هذه الحروب الطاحنة وقد يدفعون أرواحهم ثمنا لهذه الكوارث والبلايا التي تهبط عليهم دون أن يكون لهم أي دور أو حتى رغبة فيها ولكنها الأقدار تفعل ما تشاء وأعدك بأني صامدٌ على قرار احترام القوانين التي التحقت على أساسها بهذا العمل الشريف وولكن مع ذلك سأظل إنسان له قلب .

وتراجع مسفر إلى الخلف .. وأدى التحية العسكرية.

عمر ولد الفران

قبضت الشرطة على فتاة في خلوة مع شاب بحارة الباب، وعندما دخلت عليهما جهات الأمن بناء على إخبارية بعض الجيران توجه الضابط بكلامه إلى الشاب يسأل عن سبب وجوده مع هذه الفتاة :

- الحكومة أخبرتنا أنك هنا مع هذه البنت الأجنبية .. إيش كنت تعمل أنت وهي ؟؟

- يا حضرة الضابط ، هذه بنت جيراننا ، وصديقة أختي وقد أرسلتني بحاجات أعطيها لها، وزي ما أنت شايف هي بكامل لباسها وأنا والحمد لله بكامل لباسي، واللقاء بريء يا حضرة الضابط ، وما عندنا إن شاء الله أي عيب ، لأنها بنت جيراننا والجار له حق على الجار .

يرد الضابط :

- هذا الكلام هو عذر أقبح من فعل ، ولا لك حق تختلي ببنات الناس ، فضلا عن بنات الحارة.

والتفت الضابط إلى الفتاة ويسألها:

- أنت بنت مين ؟

قالت الفتاة:

- أنا بنت العمدة الشيخ عبدالله.

ثم أخذوها إلى العمدة ، فيخرج العمدة ويقول :

- نعم هذه بنتي.

ويتراجع رجال الشرطة والأمن ويتركوها عند العمدة فيكلمه النقيب :

- يا عمدة هذه صالحة بنت الدخان كيف تقول بنتك.

فيقول العمدة :

- يا حضرة النقيب كل بنات الحارة بناتي.

ثم أدخلوها عنده ، وينادي على والدها ويشد عليه ويقول له :

- لقد أخبرتك أكثر من مرة أن هذه البنت تعاني من ظلم وقسوة من زوجتك ومنك ، وكم شكت لي من الضرب والقسوة حتى ضاقت بها الحياة ، وعندما تقدم لها ولد عمر فران رفضتم زواجها.

يسكت الأب هنيهة ، فيقول له العمدة :

- إن هذه البنت قد هامت على وجهها ووجدناها عند باب الحرم، فأحضروها لي وأنا أشعر بأنك أنت الجاني عليها بقسوتك وقسوة زوجتك .. لماذا لم تزوجوها على ولد عمر فران.

رد الرجل :

- هذا شاب دخله محدود ، وصنعته واطية وما عنده مهر يدفعه ولا بيت يسكنه.

فقال العمدة:

- لقد جاء خال الولد عندي وقدم لها مهر عشرة جنيهات (جورج) وحجز لهما مكان هي وزوجها عنده وعمه الذي يشتغل عنده صلح راتبه .. فما لك أي عذر.

يرخي والد البنت رأسه ويقول :

- يا عمدة اسمح لي أسأل الجماعة..

فيقول العمدة :

- جماعتك هم سبب المشكلة وظلم زوجتك سحق حياة البنت.

ويرخي الرجل رأسه مرة أخرى ويقول :

- اللي تشوفه يا عمدة.

هنا يقول العمدة :

- تأتيني بعد صلاة المغرب عند باب السلام .

بعد صلاة المغرب ذهب العمدة إلى السيد علوي مالكي وأخبره بالقصة ، وأحضر الأب والشاب ، وعقد له عليها ، وقدم الشاب المهر ، ولا أحد يدري أن العمدة هو الذي دبر المهر وستر هذه البنت من الضياع ، وبعد نهاية العقد قال العمدة:

- خلاص يا أبا صالحة ما يحتاج تطويل نروح أنا وأنت الآن ونأخذ البنت نوديها بيت زوجها ، وتتعشوا عندي أنتم كلكم.

ولم يكن لدى الأب أي فرصة للنقاش ، وتم الزواج ، وذهب العمدة والأب إالى البيت وأخذا البنت إلى بيت زوجها ، فانحنت البنت تقبل يد العمدة وتقول :

- ربنا يسترك يا عمدة زي ما سترتني، وينصفك كما أنصفتني.

فيلتفت إليها العمدة في حنان ويقول :

- قبلي يد أبيك.

فتقول صالحة :

- أنت أبويا يا عمدة.

فقال العمدة :

- قلت لك كلمة لازم تسمعيها وتنفذيها.

فانحت بامتعاض تقبل يد أبيها.

خرج الأب عائدا إلى منزله ، وعاد العمدة إلى المركاز وهو فخور بهذا العمل الشريف الذي قام به ويردد في نفسه.

- أولاد الحارة أولادي وبناتها بناتي.

سلمى في جزيرة البياض

الحياة في حارة اليمن تطحن الناس ، فظروف المعيشة قاسية ، ووقف شاب أسمر ينظر إلى البحر ، ويلف على رأسه العمامة، وفي وسطه الحزام ، ويكتسي بالفوطة ، وهو دائم التردد على البحر ليكسب رزقه بعرق جبينه ، لكنه بدأ يضيق يضيق بتعامل الناس وما يلقاه من بعضهم من قسوة وظلم ، وأحس بأن بعض الناس الذين يلقاهم يبدون وكأنهم وحوش تأكل بعضها البعض، أو حتى قروش تفتك ببعضها ، وغاب التراحم وقلت الشفقة ، وضاعت المروءات إلا من رحم ربي، وبعض الناس تعوّدوا على الكذب وعدم الوفاء بالوعد، وتقسو الحياة على هذا الشاب، وشعر وكأن الدنيا كلها في حارة اليمن تضيق به وتدفعه للهرب خارجها، وقد ظل يفكر كثيرا في الهجرة والبعد عن الحارة، وعن جدة ليكون بعيدا عن الناس فلعله يجد الراحة والاستقرار وأخذ يردد :

- لعل البحر يكون أرحم.

عاد إلى البيت وحكى لزوجته ما يشعر به ، وفوجئ بموافقتها على أن تذهب معه الى أي مكان يشاء ، وجمعا ما تيسر لهما من مؤن وأخذ خيمة وبعض الأثاث البسيط ، وقرر أن يذهب هو وزوجته إلى جزيرة البياض ، فقد ألف زيارة هذه الجزيرة لعدة سنوات ، وأجمل ما فيها أنها صغيرة وبارزة في عرض البحر ، والماء يحيط بها من كل جانب ، والأمواج تصطدم بها وتقذف بماء البحر ليغطي معظمها ، والهواء العليل يمر بها.

وفي الصباح الباكر رحلا إلى الجزيرة ، وأقام الخيمة وشدها بقوة خوفا من شدة الرياح واستقرا هناك.

أخذ يذهب للصيد ثم يبيعه في البنقلة ، وبعد مدة من الزمن يكتشف أن هناك أناساً يمرون بالجزيرة ، ويعرض عليهم شراء بعض الأسماك التي يصطادها ، ويتطور الأمر فيقوم هو بطبخ الأسماك وتجهيزها بطبخات بسيطة مثل الصيادية والمشوي والسلطات ، وتساعده زوجته ، ويسترزق بهذه الطريقة، ويعيش حياة سعيدة هو وزوجته ويرزق بطفل .

كان قدوم هذا الطفل مصدر سعادة وفرحة كبيرة لهما واستمرت حياتهم في الجزيرة يطربون فيها لسماع أمواج البحر وهي تصطدم بالصخور في الجزيرة ، وفكروا في بناء غرفة صغيرة لهم عوضا عن الخيمة التي يقيمون فيها ولكن خفر السواحل

رفض ذلك ولم يسمح لهم ببنائها ويجري جدال بين أبي مرعي وبين ضابط خفر السواحل :

- كيف تسمحون ببناء ناطحات سحاب على الضفاف أمامنا في ساحل البحر ، وأنا بعيد عن المدينة لا تسمحون لي ببناء منزل بسيط ؟؟

يرد الضابط في غلظة :

- هذه أوامر وعليك احترام الأوامر ، وإذا زودتها نخرجك من الجزيرة .

يقول أبو مرعي :

- لكني لم أرتكب إثماً أنا في بلدي وأحمل هويتي وهذه زوجتي ومن حقنا أن نبني سكناً ، بل أنا اذهب إلى القول إن من حقي على الدولة أن تساعدني في بناء منزل ولو هنا في عرض البحر، أو على الأقل تكفيني شركم .

فيرد الضابط :

- لا تكثر الكلام وأزل البناء الذي أحدثته وعد إلى خيمتك قبل أن يحدث ما هو أشد وما لا تحمد عقباه.

وانطلق الضابط في خفر السواحل بقاربه مبتعدا، وأبو مرعي ينظر إليه ويقول بصوت منخفض :

- ماذا بقي حتى تهددنا به فقد منعتنا من بناء مسكن بسيط لنا دون مبرر في جزيرة نائية ، وهجمت علينا كالقرش في هذا البحر يهجم على فريسته ، ولم تستمع حتى إلى اعتراضنا أو تحلل شكوانا، ولكن حسبي الله على رجال سلطوك علينا وعلى أمثالنا دون أن يعلّموكم أدب الحوار، أو حتى أبسط مباديء الرحمة ، ولو قام بهذا العمل رجل من أثرياء البلد وبنى حتى قصرا هنا لم تكن تجرؤ حتى لتكلمه ، ولكن على أي حال نحن في عرض البحر ونتعلم من السمك، الكبير يأكل فيه الصغير، ولكننا نتجرد من إنسانيتنا في بعض الأحيان، فلا نرحم ولا نتذكر أن من لا يرحم لا يُرحم .

وعاد أبو مرعي ودخل الخيمة، وقد عزم في اليوم التالي على هدم الأجزاء التي بناها خشية من تسلط هذا الضابط إذا عاد إلى أطراف الجزيرة .

استمر معتوق يجمع صيده بعرق جبينه ، تساعده زوجته الحبيبة وقد علمها الصيد ، ويذهب كعادته لبيع المحصول الذي يجمعه من الأسماك ، ثم يعود ، وفي بعض الأيام كان يدركه الليل فلا يستطيع الرجوع إلا في اليوم التالي، وتطور الأمر معه حيث أخذ يمضي أكثر من يومين أو ثلاثة ثم يعود ، ويشرح لزوجته أنه انشغل بشراء بعض الحاجات ومحاسبة بعض تجار البنقلة .

ثم غاب معتوق أسبوعا بكامله ، فأصاب سلمى القلق ، ولكنها كانت تطمئن نفسها وتسترجع الظروف التي شرحها لها وتقوم هي بالصيد وتجميع الأسماك وتتركها في الماء حتى لا تخيس ، فإذا جاء وجدها جاهزة ، وتذكرت أنه عند خروجه الأخير كان يبدو ساهما ، ووقف وهو يودعها على الصخرة بجوار القارب ، ثم مد يده وضمها إليه وقبل رأسها مودعا، وهو ما لم يفعله قبل ذلك ، وخافت عند شعورها بأن هذه الإشارة وكأنها إشارة إلى الوداع الأخير ، وتوجهت إلى الله أن يحفظه ويعيده ، فليس لها في هذه الدنيا الا معتوق ومرعي تربيه، والسماء تظلهم كغطاء في هذه الجزيرة ، والصخور والرمال تحت أرجلهم والبحر من حولهم ، وهم في سعادة غامرة ولكنها ظلت تتجلد وتحاول أن تدفع عن ذهنها كل تلك الأفكار التي أحاطت بها ، ومضت الأيام وهي تتجلد وتصبر وتضم مرعي إلى صدرها ..

ويأتي المساء تلو المساء والصباح تلو الصباح وهي تترقب والأيام تتوالى ولكنه لا يعود وتمضي الأسابيع والشهور وهي تعيش على فتات السمك الذي يتخلف من القروش بعد أن تأكل على شواطئ الجزيرة ، وما تقوم «سلمى» باصطياده من السمك وأخذه للناس الذين يتوقفون عند الجزيرة فيتعاطفون معها ويحضرون لها بعض الأطعمة ، وتقوم هي كما تعودت مع زوجها بإعداد الطعام لهم وأنواع مختلفة من الأكلات ، وسارت حياتها على وتيرة حزينة فهي قلقة متألمة مترقبة ، ولم تسمع عن

أبي مرعي أي شيء وحاولت مع خفر السواحل الذي لم يجد له أي أثر .

ويمضي الوقت، وبعد سنوات ثلاث وهي تكافح على جوانب هذه الجزيرة تحضر مجموعة من الناس للاستراحة في الجزيرة ، فتعد لهم الطعام ، ويحرصون على سماع قصتها ، ولكنها تفاجأ بعد ذهابهم إلى المركب للراحة في تلك الليلة بأن يحضر إليها مساعد من مساعدي القارب الذي حضروا فيه ، وهو شاب يافع من حارة المظلوم ، ويفاجئها بأنه يعرف زوجها، وأنه يعرف أنه يقيم الآن مع سيدة تعرف عليها وتزوجها في منطقة رابغ ، وأعطاها العنوان .

ظلت طوال ليلها تفكر في هذه الكارثة التي حلت عليها ، وكيف تجرأ أبو مرعي أن يتنكر لتلك العشرة ، ويقذف بها في عرض البحر ، ولكنها جمعت قواها وحرصت على أن ترتب نفسها وعادت إلى جدة ثم ذهبت إلى رابغ ، وتوجهت إلى المكان الذي وصفه لها الرجل وطرقت الباب .

فتح أبو مرعي الباب وفوجئ بها ، وأخذ يتحدث إليها وهو مرتبك ، ويجري بينهما حوارا شديدا ، وتخبره عن عظيم الخيانة التي قام بها ، برميه لها هي ووليدها في البحر ، هذا الطفل الذي تحمد الله أنها استطاعت أن تحميه وتنشئه ، ولكنه اليوم في حاجة إلى المدرسة وقد حضرت من أجل هذا السبب .

ويشعر أبو مرعي بالخجل، ويتقدم لها ليعتذر ولكنها ترفض بكل قوة ، وتقول له :

- يا أبا مرعي لقد خنت الأمانة ، وغدرت بي وبطفلك ، وتركتنا في تلك الجزيرة النائية ، دون أدنى رحمة أو شفقة أو وخز للضمير أنا يهمني أمر واحد هل أستطيع أن أفهم لماذا أقدمت على هذه الخطوة ودمرت حياتنا نحن وهذا الحبيب مرعي ؟.. وليتك تذكر أيام حارة اليمن وكيف كنت تشعر بقسوة الناس وظلمها لبعضها البعض .. فلماذا قسوت علينا وظلمتنا وشتّتت العائلة بظلم مثل الذي كنت تشكو منه .. ولكن على أي حال يبدو أن حياة المدينة الجديدة قد أغرتك .. وبعد أن هربت من ظلم الناس اندفعت إلى ظلم نفسك ومن حولك .. وأصبحنا نحن الضحية .

ويحاول ابو مرعي أن يجيبها وهو يرخي رأسه خجلا :

- إنها نزوة من نزوات الشيطان، فأنا كنت أذهب لبيع السمك، فلقيت أحد البحارة الكبار، ونشأت بيني وبينه علاقة، وكان يأخذني إلى منزله، وأعجب بي ، وعرض عليّ أن يزوجني ابنته، ولم أستطع الرفض، فقد كان الرجل يكرمني كثيرا ، وعندما أخبرته عنك قال لي، يمكنك أن تبقى مع زوجتك، ويمكنك أن تأتي هنا بين وقت وآخر وأزوجك «سميرة» وأشاركك في بعض تجارتي البحرية ، وأصابني الطمع، وهذه

نزغة من نزغات الشيطان، وكلنا يا سلمى خطّاء ، والله سبحانه وتعالى يغفر ويعفو، وأنا اطلب منك العفو، وأعترف أنني أخطأت في حقك .

- إن الله كبير ويعفو عن كثير ، وأما أنا فإنسانة ضعيفة ولا أستطيع أن أتحمل هذه الصفعة منك بعد كل ما فعلت وكل ما قاسيناه معا وعشنا على البحر وعشنا مع الأسماك وكنا في غاية السعادة ، فإذا بك تتنكر لكل ذلك وتأتي اليوم وتطلب مني السماح .. لا يا أبا مرعي لقد خنت الأمانة وأخلفت الوعد ، وقد أشهدت عليك كل شيء من سماء وبحر وكل ما حولنا ومن حولنا وسوف يكون لنا لقاء .

حاول أن يمسك بها ولكنها رفضت ، وبعد أيام قليلة فوجئ أبو مرعي بطلب من المحكمة ، وحضر وهو مرتبك فوجد «سلمى» مع ابنه «مرعي» عند القاضي الذي حكت له سلمى القصة ، فأمره القاضي بأن يطلقها ويتركها لحالها ، ويتكفل هو بمصروف الطفل ، ولكنه رفض وقال للقاضي :

- أنا أريد أن أبقي على زوجتي وطفلي .

ولكن القاضي تحدث إليه بقسوة وقال له :

- أنت لا تستحق هذه المرأة، وعليك أن تطلقها وتتركها لحالها وإلا ألزمتك حتى بالنفقة عن السنوات التي مضت، لقد

ظلمت هذه الإنسانة ، وحرمتها وجعلتها تربي هذا الطفل في عرض البحر ظلما لا مبرر له وخيانة للعشرة.

يرفض أبا مرعي أن يطلّق فيفاجأ بصوت القاضي وهو يرتفع:

- أعلن أنا القاضي «سامي أبو شريف» إني قد خلعت هذه المرأة «سلمى بنت عبدالله أم مرعي» من زوجها بقوة الشرع وبحقها لأنها ظلمت وسُحقت حقوقها ، وبحقها في كفالة طفلها الذي ربته بعرق جبينها .

يحاول أبو مرعي أن يعترض ولكن القاضي يأمر الجنود بإخراجه إلى خارج المحكمة ويطلب القاضي من الكاتب أن يعجل بعمل الصك ويعطيه لها وهو يقول :

- اسأل الله أن يعينك.

وتشكره سلمى وهي خارجه :

- يا حضرة الشيخ الله ما يضيع أحد ويرزقني رزاق الحيايا في جحرها ، ورزاق الأسماك في بحرها .

وتسحب طفلها مرعي خارجة ، ويلقاها أبو مرعي عند الباب ولكنها تقف أمامه وترمي الصك في وجهه :

- حتى هذا الصك لا أريده ، فأنا سوف أعيش لابني ، أما أنت فستلقى جزاءك عند رب العالمين ، وأنا أشعر بأني أكرم منك لأنني تركتك على البر بعد أن تركتنا على البحر .

شاب يحمل غمداً

على باب المحكمة الكبرى تتجمع الأسرة ويدخلون إلى غرفة القاضي الشيخ (حماد) ويجلس القاضي وينادي:

- «مشعل» أخو السيدة «مرزوقه»..

ويتقدم مشعل :

- نعم أنا مشعل يا حضرة القاضي.

- تقدمت للمحكمة بطلب طلاق أختك مرزوقه من زوجها جار الله فما هي مبررات طلبك؟ وعلى أي أساس تطلب طلاق أختك من زوجها؟

- يا فضيلة القاضي أنا أطلب التفريق بين أختي وزوجها لعدم تكافؤ النسب ، فنحن قبيلة محترمة ولنا أصولنا ولنا قيمتنا بين القبائل وعند الناس ، وهذا الرجل شريطي يعني عابر سبيل لا أصل له ولا فصل جاءنا واستوطن الديرة ولا نعرف أهله والناس تقول إنه (صلبي) وِحّنا نريده يفارق أختنا ونصون كرامتنا ، وما نطالبه بشيء حتى مهره نرده عليه.

- ولكن هل تطلب هذا الطلاق أنت بنفسك لوحدك؟

- لا يا حضرة القاضي أنا وخالي وأخوي عبدالله..

- هل المرأة موافقة على هذا الطلاق؟

- لا يا فضيلة الشيخ ما هي موافقة وترفض وِحنَّا ما نقبل استمرار هذا الأمر لأنه يسبب لنا فضيحة بين الناس ، لا يهمنا رأيها فهي أختنا لا شك ، ولكنها أعزك الله إمرأة لا تعرف أصول القبيلة، ولهذا نعتبر نحن أنفسنا أصحاب الكلمة، ونطالبك بالتفريق بينها وبين زوجها على أساس عدم تكافؤ النسب .

- ما هي الفضيحة التي يسببها لكم هذا الزواج؟

- يا فضيلة الشيخ ، ما هو كفء وما هو نحيره وِحنَّا غُلبنا على أمرنا في زواجها.

- هل أختكم مرزوقة زوجت نفسها بنفسها؟

- لا يا حضرة الشيخ أبوي جمعان رحمه الله زوجها غصب عنا وقلنا ما يصير لكن ما طاعنا ومن يومها وهذه الزيجة غصة في حلوقنا، وِحّنا يا حضرة الشيخ نمشي ورأسنا مرخية قدام الناس، وهؤلاء الناس جاءوا معي يؤيدون كلامي من القبيلة، وشافوا بأنفسهم يوم زوج أبوي أختي، وحنا نريد منك التفريق بينها وبين زوجها ، ونربي له أولاده وما نطلب منه شيء.

- ولكن العقد صحيح مادام والدكم وليها عقد لها وبموافقتها فالعقد صحيح.

ويتقدم أحد المرافقين ويبدو عليه أنه من شيوخ القبيلة

- ولكن يا فضيلة الشيخ العرف عندنا أنه ما تتزوج المرأة إلا بنسب يكافئ نسب أهلها ، وهذا الزواج غير متكافئ والرجل ما هو كفء ، لا نسب ولا حسب ، وأنت أعلم الناس بقول الشرع في مثل هذا الزواج الغصب الذي غصبنا عليه أخونا — رحمة الله — أبوها «جمعان»، ونريد الآن أن نصحح الخطأ الذي أرخى رأسنا بين الناس..

- أنا أسألك كقاضي مسؤول أمام الله.. هل المرأة توافق على الطلاق وتعترف بأن والدها غصبها؟

- يا فضيلة الشيخ ما لنا ولها ، هذي بنتنا وحنا المسؤولين عنها وعن أولادها.

- يعني عندها أولاد؟

- نعم عندها ولد وأربع بنات.

- أنا أرفع الجلسة الآن وأطلبكم إحضار الزوج والزوجة في جلسة الاثنين القادم.

وتنتهي الجلسة، ويخرج الأخ ويذهب إلى بيت أخته، ويتحدث إليها بأنه قد ذهب إلى القاضي، وأنه كما سبق أن أخبرها سيطلب الطلاق حرصا على كرامة القبيلة وعلى كرامتها.

- يا مرزوقة أنا قدمت طلب الطلاق للشيخ ، وأنا المسؤول عنك ولا يجيلك أي بأس إن شاء الله.

- يا أخوي يا مشعل مالك حق تحرمني من عيالي ، وتبعدني من زوجي.

- لا .. لا ما أنا حارمك من عيالك .. عيالك يبقون معاك ، ولكن هذا الزواج ما يصير ، عيب أن يستمر زواج أختنا برجل ما هو كفء ، ولابد يا مرزوقه من الطلاق .. كرامتنا فوق كل شيء ، وعاداتنا وتقاليدنا .. حتى الشرع ما يؤيد هذا الزواج .. إلا أبوي الله يرحمه تممه.

- أقول يا مشعل ترى هذا أمر خطير ، وأنا والله ماني موافقة عليه، ولا أقول إلا لا حول ولا قوة إلا بالله.

ويخرج ويتركها وهي تذرف الدموع من عينيها، وفي الجلسة التالية حضر الجميع أمام القاضي وافتتحت الجلسة، وسأل القاضي عن الحضور «مشعل» أخو «مرزوقه» وابنها «سارى» وبناتها «هيا» و«العنود» و«جميلة» والزوج «حامد» وتحدث القاضي يسأل موجها كلامه إلى الزوجة:

- هذا أخوك «مشعل» تقدم بطلب طلاقك من زوجك حامد لعدم تكافؤ النسب ، وقبل أن أنظر المسألة أريد أن أسمع رأيك.

ولكن المرأة لا تجيب، وترخي رأسها، وتبدأ في البكاء وبصوت مخنوق. وفجأة يتقدم ابنها، وهو في أول ريعان الشباب ويسأله القاضي.

- من أنت؟!

- أنا سارى بن أبوى حامد ، وهذي أمي مرزوقة ، وهذا خالي مشعل وهؤلاء إخواني ، حنا يا حضرة الشيخ ما نوافق على طلب خالي ، لأنه لا يحق له أن يهدم بيتنا ، ويخرب حياتنا، بدعوى تتركز على القبلية والعادات إللي ما لها أساس في الدين ولا في الشرع ، وهذي يا حضرة القاضي أمي، امرأة شريفة عفيفة زوجها جدى «جمعان» على أبوى «حامد» على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وطلب خالي ما له أساس.

القاضي يصمت فترة ثم يقول:

- ولكن خالك يدعي عدم تكافؤ النسب وعلى أساس هذه الشبهه يريد طلاق أمك من أبيك.

- يا فضيلة القاضي هذا طلب باطل، ولا نقبله لا أنا ولا أبوي ولا أمي ولا خواتي.

ويتحدث الخال:

- أقول يا ساري عيب ترفع صوتك على خالك وأنت بعد ما تعرف أصول القبائل ولا حقوق النسب.

- لا يا خال.. لا والله إني أعرف أنه هذه أمي حرة بنت حر.. من أصول أنت منها وتعرفها .. خل عنك يا خال هذا الكلام إللي ما له لزوم.

- أقول يا ساري تسكت وإلا والله لأصفعك على وجهك.. وأنت ترفع صوتك على خالك.

- يا خال والله لو رفعت يدك على رأسي يكون محني وخاضع.. تصفع الصفعة والصفعتين ما أرفع عيني عليك وأنت خال والخال والد. وأنت نسب وحسب أعتز به والخال له حق في حدود الشرع ، وأنت يا خال أعوذ بالله من الشيطان نزغ عندك حتى جيت تهدم بيتنا ، لا والله ما نسمح بهذا ، وأنا ساري حفيد جمعان والله يا خال جيت بسيفي وخليته على الباب في غمده يوم منعني الحارس اللي على الباب أدخله ، والله ياخال ما أحد يهين أمي وأبوى إلا أحاربه بهذا السيف ، اسمع يا خال خل عنك ها الفتنة.

- أنت يا سارى ما تفهم؟ أبوك ما هو كفء لنا.

- عيب يا خال.. أبوي رجل يؤذن في المسجد ، ويصلي بالناس، وأنتم تعرفون أخلاقه.

- إيه لكن ما أحد يعرف أصله ، وما أحد يقبل يزوج رجل بدون أصل.

- يا خال الأصل هو الدين ، والنبي قال لنا ، وعلم الناس أن يزوجوا صاحب الدين ، وصاحب الأمانة ، وأشهد أني من نسل رجل صالح وأم عفيفة وأنا حفيد جمعان الراسي إللي ثبت في كل ميدان..

- كف عنك ها الكلام يا سارى ، ترانا مصممين نبي نزوجها بعد طلاقها لرجل من القبيلة ، نعرفه ويعمل في المراعي عندنا، ومن أهلنا.

- لا والله يا خال ولا يهون الشيخ والحاضرين، والله ما نسمح بهذا الطلاق ولا نقبله ، ولا نقبل ها الغريب إللي أنت تتكلم عنه ، وما يزيد عن سمرمد ، والرجال ما هي بنسبها فقط، وعيب إللي انت تقوله يا خال.

- يا سارى اخز الشيطان يا ولدي ولا تسبب فتنة.

- والله يا خال انت والجماعة إللي خلفك تبحثون عن فتنه ، وترى يا خال والله .. والله من قرب أمي أو عرضي ما يلقى إلا ها السيف إللي على الباب ، وأموت في سبيل راحة أمي وأبوي ، ولا أسمح لك بالتعدي علينا يا خال.

وهنا يرتفع صوت القاضي :

- اخزوا الشيطان واهدأوا .. هذا موضوع لا يمكن أن يتم على هذا النحو ، وأرى حفظ القضية لأن أصول الشرع لا تقر هذا الأمر ، ولا هذا التفريق بين زوجين تم زواجهما على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبشروط مكتملة ، ولهذا فأنا أعلن قفل القضية ، ولكني أنصحك يا سارى ما يجوز تهديد الناس بالسلاح ، ولابد من الأدب مع الأهل في الخطاب.

- جزاك الله خيراً يا شيخ ، والله ما هو تهديد ، ولكنه حقيقة أذود بها عن عرضي ، وعن أهلي ، وعن أمي ، وأنت يا شيخ انظر إلى ها الأم إللي يريد أن يجني عليها أخوها بدعاوي قبلية ما لها أساس، حتى أنها يا فضيلة الشيخ ما استطاعت تتكلم وتعبر عن نفسها من الألم والظلم ، وخنقتها الدموع ، وهذا ظلم لا يقبله الله سبحانه وتعالى ، ولا جاء في تعاليم رسوله صلى الله عليه وسلم .

- لقد أنهيت الموضوع يا سارى وقفلت القضية.

وهنا يتقدم خاله مشعل ليقول :

- يا حضرة القاضي أنا أعلن اعتراضي لأني أصر على طلاق أختى للأسباب التي ذكرتها ، وما نمشي راخيين رؤوسنا بين الناس بزواج ما له أساس.. ما له أساس .. ويرخي هاماتنا بين القبائل وكل الناس..

- يا حضرة القاضي سامحني ترى خالي ما يقول الكلام الصحيح ، وهذي ورقة أمي تحفظها عندها وعند أبوي.. وثيقة الزواج إللي كتبها الشيخ «صالح العبدالله» رئيس المحكمة قبل عشرين سنة، ووقع عليها أبوي وجدي ، وشهد عليها الخال.. أنت شاهد عليها يا خال.. واليوم تنقض الميثاق.. تنقض الشهادة.

ويستلم القاضي الورقة.

- بارك الله فيك يا ابن يُعتز به ، لقد قفلت الموضوع نهائيا ، وأنت يا مشعل ارجع إلى الله واستغفر.. تراك ظلمت أختك وزوجها ، وأنت يا مرزوقة سامحي إخوانك وأهلك ولا يصير في قلبك حقد عليهم ، فهذه نزغة شيطان.. قفلت الجلسة.. قفلت الجلسة..

ويتقدم مرة أخرى (سارى).

- يا خال .. يا خال .. ترى العشاء عندنا الليلة مع فضيلة الشيخ .. الله يحييكم وأنا حفيد جمعان.

ويقول الشيخ:

- ونعم بحفيد جمعان.

وينسحب الخال إلى خارج المحكمة وقد أرخى رأسه ولم يلتفت إلى أحد كأنه يسير في ظلام دامس.

الشغالة ونزوة عُمر

كان رجل أعمال يرعى أسرة قوامها الزَّوجة والأولاد الأربعة وكان يستقدم «الشغالات» للعمل في بيته من جنوب شرق آسيا.. ولم تكن الزوجه راضية عن أدائهن.. وطلبت منه استقدام إحدى الأفريقيات بعد أن سمعت من صديقاتها عن مدى إخلاصهن في العمل وحسن خلقهن، وكذلك المثابرة والخدمة الممتازة واستجاب الزوج واستقدم «شغالة» من أفريقيا..

كان أداؤه في عمله عملا رجوليا وتعاملا مغموسا بمسحة من الرقة.. وفي بيته يحترمه الجميع ويحنو على الجميع.. يعيش يومه في دوامة من الاجتماعات واللقاءات ، وكان دائم النظر إلى المستقبل، رافعا رايات التفاؤل فوق جبال اليأس.. يتدفق حيوية.. وهو لايزال شابا.. لكنه يجمع بين حكمة الشيوخ وهدوءهم ، وحيوية الشباب في أعمالهم ، يقدم خبراته وخدماته لكل سائل على أكمل وجه ، وأجمل صورة مهما كانت الظروف..

وجاءت الشغالة وقد سبق لها أن عملت في بيوت أخرى بنفس البلدة التي جاءت لتعمل بها.. وكانت ترى في بعضها

التمزق والتشرد بين أفراد الأسرة وكذلك الانعزالية.. وكانت ترى الزوج في وادٍ والزوجة والأولاد في وادٍ آخر.. الزوج كثير السفر ، والزوجة كثيرة الصديقات ، والأولاد حيارى يكادون يربون أنفسهم بأنفسهم..

وبدأت الشغالة تنظر إلى هذا الرجل نظرة أخرى.. غير التي كانت تراها في بيوت الآخرين ، نظرة إعجاب وتقدير وكلما خلت إلى نفسها كانت تعقد المقارنات بين تصرف هذا الرجل الجاد ، الراعي لبيته وأسرته ، وبين تصرف بعض الرجال ممن عملت عندهم من قبل.. كانت ترى فيه الكبرياء والقيمة ، والشراهة للمشاركة في كل فعل للخير، وترى فيه التواضع في التعامل ، والمشاعر الإنسانية الحقيقية ، والأخلاق الكريمة، والعشرة الطيبة، فحرصت أن تكون دائماً في خدمته وعرفت كل متطلباته اليومية منذ استيقاظه صباحاً وحتى يأوي إلى فراشه.. من إعداد الفطور وقهوة الصباح وملابس الزوج نظيفة مكوية وتنتظره في المساء حتى عودته.. حتى لو عاد في ساعة متأخرة من الليل.. بينما تكون الزوجة والأولاد في سبات عميق.. تسأله هل تناول طعام العشاء؟ هل يحتاج إلى شراب ساخن؟ هل.. هل...

لاحظت الزوجة هذا الاهتمام والحرص على خدمة الزوج بهذه الروح وأنها لم تترك لها أي فرصة لخدمته!! وبدأت تغار منها.. وأصبحت في حيرة من أمر هذه «الشغالة».. وتتساءل ماذا

وراء هذا التفاني في خدمة الزوج؟! وهل زوجها يرى أنها مجرد شغالة نشطة تؤدى عملها بأمانة دون غرض أو هدف؟.. أم أن هذه الخدمات وهذا التفاني قد يشده إليها فيتأثر بها؟! ويتعاطف معها.. وما مدى تجاوبه مع هذه الخدمات؟! و... و... و... إنها لم تقصر في خدمة الأولاد ولا في رعاية البيت.. ولكن الأوهام الممتزجة بالغيرة جعلت الزوجة تراقب تحركاتها ونظراتها.. وتراقب من طرف خفي نظرات الزوج لعلها «تضبطه أو تضبطها» في حالة تلبس بنظرة تؤكد لها بعض الظن.. وهل في نظرات أحدهما وَلَهْ واشتهاء ؟! وهل فيها نداء لعشق دفين ؟! وهل تبوح عيونهما بمكنون الشوق الحبيس في صدريهما ؟!.. لتقول أشياء تعجز عن قولها الشفاة ؟!!.. أصبحت تدور في حلقة مفرغة.. ويدور حديث بينها وبين نفسها كالنواح.. هل هي واهمة؟! هل ما تراه سراب؟! لأنها عطشى لترى الحقيقة؟! وإلى متي يطول عذابها وشكوكها وأوهامها؟! هل تطلب من الزوج «تسفيرها»لترتاح من هواجسها؟! قد تكون ظالمة لها، وكل ما يعتلج عندها ما هو إلا شكوك وأوهام.. فالشغالة جادة في عملها والزوج أرفع من أن يدور بخلده شيء مما في صدرها..

الإنسان مهما كبر يظل بداخله طفل صغير يشتهي الضمة واللمسة الحانية والرفق في التعامل.. وقد شدته فعلا الشغالة بحنوها وعطفها وخدماتها.. فأيقظت هذا الطفل ونازعه عقله وعاطفته.. عقله يحذره من الشطط ويؤكد له أن ما يدور بخلده

إنما هو نزوة عُمْر.. وعاطفته تشتط في هواها ، والشوق المحموم يضطرم بداخله ويكتم سره ، ويعاهد ضلوعه ألاّ تفضح سره.. وتغيرت نظرته «للشغالة» وتخيل أن كل حركة وكل نظرة وكل استجابة لمطلب من مطالبه.. إنما هي كلها استجابات لنداءات شوق واشتياق.. وكلها تضج بنار الجوى والغرام..

صم أذنيه لنداء العقل بالابتعاد والحذر من نزوة العمر.. واستسلم لشيطان الهيام والمتعة.. وتحرك قلبه نحو «الشغالة» وهل يفضح سره ويظهر عاطفته؟! وكيف إنه يخاف أن يفقد احترامها خاصة وهي تعامله بكل احترام وتقدير.. وليس في حركاتها أو نظراتها أو أقوالها شبهة ميوعة أو دلال.. أو أي شيء يشجعه للبوح بمكنون فؤاده.. واعترته حالة من المد والجذر.. هل يقدم؟! أم يتراجع ويعيش عذاب البوح؟! ولكن.. إلى متى؟! وصار يتحين الفرصة ليبوح.. ليقول.. ليعبر عن مكنون فؤاده ويفضح سره..

ذات مساء.. عاد متأخرا.. وكالعادة كانت «سهرانه».. فوسوس له الشيطان أنها في انتظاره بينما الزوجه نائمة.. فطلب منها فنجان قهوة.. وأسرعت كعادتها في إعداد القهوة وجاءت بها إليه.. وهو ينتظر والكلمات حيرى في فهمه هل يصمت؟!.. ويقاوم؟! وانحنت تصب القهوة.. فرأى الدنيا كلها في صدرها.. ولم يتمالك نفسه، وأنطقه سحرها المخبوء.. وقال: أحببتك يا..

وانطلقت عبارات الغزل والهيام والاشتهاء.. فلم تنطق ، وكأنها لم تسمع شيئاً.. وآوت إلى فراشها وتركته حيران.. هل يتبعها؟! وما سر صمتها وانسحابها دون الانتظار مثل كل ليلة حتى تنظف المكان ويآوى إلى فراشه.. وظل حيران فترة غير قصيره نازعته فيها غرائزه الحيوانية وقيمه الأخلاقية..

تغيرت فجأة نظرتها إلى سيدها الذى تميز بالرجولة والشهامة، وانقلب شيطانا يراودها عن نفسها..

وفي الصباح رآها وقد جمعت كل متعلقاتها وحزمت أمرها.. فسألها ماذا تفعلين؟! قالت: إني راحلة.. ولا رجعة .. فقد عشقت فيك أحسن ما عندك وعشقت فيَّ أرخص ما عندي..

العم حسنين بائع الخردة

مثل أي يوم من أيام العم حسنين ، حين ينتهي من صلواته وتسبيحاته، ساعة تتعانق تلك الخيوط الذهبية الساطعة مع رؤوس الجبال الشامخة، شموخ مكة المكرمة على سائر الدنيا بما حباها به الله سبحانه وتعالى من قدسية وروحانية بوجود بيته العتيق، حيث يطوف به وعلى مدى أربع وعشرين ساعة في الأربع والعشرين ساعة، الطائفون المسبحون الراكعون الساجدون، يعبدون الله جلت قدرته لا يفترون.

في هذا الوقت وبعد فراغه من صلاة ركعتي الضحى، يقوم العم حسنين، وقد لفَّ عُمَّتهُ الأغباني (الغبانة) على رأسه، وشدَّ على وسطه تلك التي كانت تُكَنَّى البقشة وهي تقوم مقام الحزام فيضع في طبقاتها التي طبقت بعناية فائقة لثلاث أو لأربع، فيضع في إحداها بعض الريالات الفضه، وهي عملة التداول في زمانه، وفي الثانية القروش والهللات وفي الثالثة بعض ما يحتاجه من مستلزماته الخاصة، ويضع على كتفه الأيسر ذلك الإحرام البني المزركش مثل البقشة التي تحيط بوسطه، يقوم كعادته كل يوم وينزل من المصافي في أعالي جياد ، وبجوارها بير بليلة ، ويمر

في العرض بجوار المالية ، ثم يتجه نحو جياد والبازان وبرحة الطفران ، ويوجب على أصحابه كالعادة ليذهب بعد ذلك إلى الخريق وهي منطقة شبه صناعية، يتواجد بها معظم ورش إصلاح السيارات وبيع الخردوات، وبعض المحلات التجارية التي يؤمها المحتاجون لشراء بعض احتياجاتهم من أمور البناء، وميكانيكا السيارات وحديد التسليح، وما شابه

والعم حسنين بياع الخردة، يسعى على رزقه ليعول أسرته المكونة من زوجة وابنتين وولدين، أحدهما وهو عبدالله في وسط المرحلة الابتدائية، والآخر واسمه نوح مازال طفلا لم يكمل بعد السنة الرابعه، وأما الابنتين، فالكبرى واسمها مريم هي البكرية، أو كما كانوا يتعارفون علي تسميتها في ذلك الزمن وجه البقشه، وهي في مقتبل عمر الشباب، وهي التى تُعنى بشؤون المنزل، وفي مقام والدتهم، ولهذا لا تُنادي باسمها بل بـ استيته، وهو نداء بديل للاسم، احتراما وتقديرا، والابنة الصغرى واسمها - حواء - لم تبلغ الحادية عشرة من عمرها فهي إضافة للمساعدة في عمل البيت، تذهب للكتَّاب نفسه الذي درست فيه استيته مريم، أمور دينها، وحفظت فيه بعضا من سور القرآن الكريم لتستعين بها في أداء الصلاة، أما زُهْرَهْ الأم فهي سيدة أتعبتها السمنة المفرطة، ولا تكاد تبين في حياة المنزل إلا النذر اليسير، ومعظم وقتها تقضيه في عمل يدر عليهم بعضا من الدخل - وهو المِنْسَجْ - حيث تتولى نسجَ السراويل الطويلة التي كانت سائدة في ذلك الزمان بنسل

بعض خيوط القماش، ثم عمل بعض الأشكال ومنها المسوبع، والنسلة الجاوي، والنجمة والكثير من الأنواع، وهذا النوع من العمل كان لا يستغني عنه معظم الرجال ممن سكن مكة في الماضي البعيد أوحتى القريب،

وعندما ينادى لصلاة الظهر، يتوضأ العم حسنين، من ذلك الزير المغربي لبرودة مائه، حيث يُبرد وجهه وأطرافه في ذلك الصيف اللافح، ويذهب للزاوية القريبة منه لأداء الصلاة، وهو اسم للمكان الذي لا تقام فيه صلاة الجمعة، فهي تؤدى في الجوامع الكبيرة، ناهيك الحرم الشريف.

وهكذا تسير الحياة رتيبة بالعم حسنين يوميا، يضاف إليها أنه بعد صلاة العصر، وقبيل المغرب بما يقارب الساعة يأخذ طريقه إلى المسفلة، وهذا الاسم يعنى أسفل مكة اتجاها إلى الغرب حيث البحر والذي تنحدر سيول الأمطار إليه قادمة من أعالي مكه، أي من منحدرات الجبال المحيطة بشرق وجنوب مكة المكرمة، مرورا بعرفات وبقية المشاعر ثم بحي المعابدة والقشاشية ومرورا بالمسفلة حيث ما كان يعرف ببركة ماجد، وهي عبارة عن حوض كبير وعميق تتجمع فيه بعض مياه السيول والأمطار، بالإضافة إلى عين دائمة تغذي البركة ، وكانت المنطقة بأسرها عبارة عن متنزه لأهل مكة لما تتمتع به من رطوبة ظاهرة مع بعض خضرة الأشجار هنا وهناك، حيث يوجد في نفس المكان مستودع خردة

العم حسنين، فيدير بعض الأعمال التي تقوم على أساسها تجارته، وهناك يتجمع الأحباب وأرباب المهن ومن في حكمهم، عند قهوة ختكار حيث يوجد مركاز ثابت للعم حسنين وأصحابه تحت شجرة نِيم كبيرة تغطي مساحة لا يقل قطرها عن ستة عشر مترا، ويحتَسي الجميع الشاي، وينفث البعض الآخر شيشة الجراك، أو التنباك الحُمّي، أيضا وفي هذا المكان كان يلجأ البعض إلى إقامة حفلات السمر ليلا حيث يتغنى المغنون والفرق الشعبية بغناء ما يسمى ـ يماني الكف ـ أو الصهبة ـ أو الدانات والمجارير وهذه لا بد أن يشارك فيها آلات الطرب كآلة العود والكمنجات والقانون والإيقاعات ويقدم فيها العشاء، وهو عادة أكلة تسمى السليق، وهي مكونة من اللحم المسلوق الذي يطبخ بمائه الرز ويضاف إليه في نهاية الاستواء الحليب الطبيعي وغالبا ما يكون من أضرعة الغنم الماعز، وهي أكلة شهية غنية مُشْبِعَهْ وتسمى أبو وجه أبيض .

وتمر الأيام بالعم حسنين، هنيئة وضيئة، لا يعكر صفوها أحد، ولأنه كان مستور الحال كان منزله أو المقعد لا يخلو عادة من الزوار والأصحاب والخلان، هذا مُتَغَد وهذا مستأنسٌ وذلك وأولئك، إلى أن حدث المحذور حيث فوجئ في يوم من ذات الأيام أن مستودعه قد سرق بالكامل وهو يعتبر حصيلة العمر بالنسبة له، وماله الذي يتاجر به، ولم يعد يملك من حطام الدنيا

شيئا، خاصة وأنه كان قد جَرَدَ دكّانه الصغير وتم بيع ما فيه بالكامل ليتفرغ لبيع الجملة توسعا في التجارة التي يتقنها،

لجأ إلى الشرطة ليبلغها بالحادث الأليم، وبعد الكشف والتحري والتدقيق، أخبرته الشرطة أنها لا تستطيع عمل شيء له من حماية وحراسة، لأنه ترك المستودع دون أبواب، أو حراسة وهذا الأمر لا يساعد مطلقا بطبيعة الحال على استكشاف

الجاني ، وقال العم حسنين يحاور الضابط :

- لقد تعودنا على هذا الأمر.. وحتى الصيارفة وأصحاب الدكاكين جميعا أمام باب الحرم يتركون دكاكينهم وبضائعهم ثم يذهبون إلى الصلاة ويضعون شرشفا كغطاء على الدكان ولا يخافون لأننا نعيش الأمن والأمان .

ويبتسم الضابط ويقول له :

- يا عم حسنين كلامك صحيح .. ولكن مكانك بعيد .. ونحن زي ما تشوف واحد والنقيب .. ولا نستطيع تغطية كل مدينة مكة .. وخاصة في الأطراف مثل مستودعك .

وتبدأ مأساة العم حسنين تاجر الخردة، حيث لا ملجأ له ولا منقذ مما هو فيه، وقليلا قليلا يجد نفسه وحيدا أو يكاد، من كل من كانوا يحيطون به من الأصدقاء أو من كان يسميهم الأحباب، ومن ومن ومن، ولم يجد من مواسٍ له سوى زوجته

زهرة وابنته الكبرى مريم، وبقية الأسرة على قدر أعمارهم فالصغير بطبيعة الحال لا يدرك فداحة الموقف وصعوبته، وكذلك لم يبق إلا بعضا من أصدقائه الذين كان يعطف عليهم.

وتَحُلُّ بالعم حسنين مشكلة أخرى وهي الأصعب، فالتعامل في السوق يستدعي أن يكون لك تعاملات، منها الآجل ومنها العاجل، وبالتالي هناك بعض الديون في التعاملات لبعض المتعامل معهم، وهناك حقوق مادية حان وقت تسديدها، وهو لا يكاد يجد قوت يومه لعياله فما العمل في من يطالب بحقِّه، وهو لا يعرف ما العمل وما الحيلة، فأخذ في التهرب منهم بالغياب عن البيت حتى لا يحرج أمام أحد، ولم يكن على وجه الإطلاق ينوي عدم التسديد أو أكل المال الحرام، فالرجل يخشى الله سبحانه وتعالى في تعاملاته، ولكن ضيق اليد وحادث السرقة عطلته وأربكت مسيرة عمله .

ظهر الوجه القبيح لهذه المشكلة، حين بدأت الشرطة التضييق عليه، طالبة منه الوفاء للناس بما هو يعترف لهم به، ولكنَّ السؤال الذي يطرح، ترى من أين ؟

ويزيد الأمر سوء، أنه لم يعد في استطاعته تأمين لوازم بيته وأسرته من الأشياء الضرورية والأساسية، وأن ما كان يدَّخر عادة ككل بيوت مكة، كمؤن استهلاكية، كالأرز وبعض المستلزمات الغذائية، نفد تماما، وأصبح كالتائه في صحراء قاحلة يفترش الأرض

ويلتحف السماء، إلى أن جاءه رجل اسمه حمدتو اللبان ممن بقي من أصدقائه على حال صداقته وإن كان ممن ضاق عيشهم من الزمن الماضي ويسأله عن حاله، فيجيبه العم حسنين:

- الحال ما يعلم به سوى الله، والشدة تزداد قسوة.

- ولكن الله موجود، ولن يتركك، نحن عبيده وهو الخالق الرازق.

- نعم هذا صحيح، وأسأل الله أن يعجل بالفرج.

- قم بنا إلى الحرم يا رجل، نطوف بالبيت سبعا ثم سبعا ثم سبعا، ونسأله الفرج القريب .. وتذكر وصية الأجداد باللجوء إلى الله ودخول بيته.

- صدقت وهو اقتراح رائع وفي محله هيا بنا.

وما هي إلا أيام قلائل، ويأتي الفرج من الله، فبعد طول هذه.

المعاناة، جاءته زوجته زهرة في ليلة من الليالي السوداء في حياته وهي خائفة مترددة، لعلمها أنه لا يقبل على وجه الإطلاق، أن تمد له يد المساعدة من أي انسان ، فهو يعتبر نفسه رجل البيت والقيم عليه، وهو المسؤول الأول عن متطلباته، ولكنها رحمة الله عز وجل التي تلجمه في لحظة الفرج التي أذن الله بها سبحانه وتعالى، فالدنيا ما زالت بخير، ومازالت أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بخير وإلى خير، ويدور بينهما حوار هادئ.

- يا أبا مريم، أنا والله خجلانة منك، وماني عارفه كيف أبدأ معاك.

ويرد عليها بحنان الزوج العاطف المحب:

- خير يا زهرة ما الأمر ؟

- أنا كنت خائفة من غضبك، ولكن الحالة التي أنت فيها تخصنا جميعا، ولقد كنت في أيامنا السابقة، أحتاط وبدون قصد لشيء، على أن أدخر بعضا من نعمك عليَّ وعلى عيالنا، وهاهي يحين وقت خروجها.

- ماذا تقصدين يا أم العيال.

- أقصد أن هذه بعض الجنيهات الذهب وبعض الريالات الفضة التي كنت أكتنزها في مكان ما بـ الدِّقِيسِي - وبمبدأ قرشك الأبيض ينفعك في اليوم الأسود

وليأخذ القدر مجراه، يُلْجَمُ العم حسنين، بل يتوجَّهُ لها بالشكر الجزيل على مبادرتها التي جاءت في الوقت المناسب، والتي في واقع الحال ما كانت غير أثمان لما باعته من صيغتها وما تملكه من أدوات زينتها، لتوفر لحسنين شريك عمرها وحبِّها الوحيد، حتى لا تجرح مشاعره بعضا من المال يستعين به على ضائقته.

وفي خضم هذه المشاعر الجيَّاشة بالحب والحنان بينهما، تعود

البسمة ولو قليلا تعرف الطريق إلى شفتيهما، ويستمر هو في الذهاب إلى الحرم بشكل دائم، ويظل يطوف بالبيت العتيق سبعا فسبعا، ثم يعود من الحرم في كل مرة هانئا منشرح الصدر وكله ثقة وإيمان بالله سبحانه وتعالى، سيفرج عليه ما هو فيه.

وفي مرة من ذات المرات بعد عودته من خارج البيت، كان قد مرَّ على بعض من ظلّ على ملازمته في محنته وضيقه، بعد أن طاف بالبيت كالعادة عدة أسباع ليجد أم مريم وحواء وعبدالله ونوح في انتظاره، مهيئة له عشاءً يحبه، ثم وهو يحتسي الشاي اقترحت عليه

- بالله يا أبو مريم، ولا أقول يا أبا عبدالله.

- قولي اللي تحبيه .

- خلينا كده نرجِّع ليالي زمان ونفرح وننبسط الليلة، ونغني وننطرب، إيش رأيك ؟

- وبعد تردد بسيط يوافق العم حسنين قائلا: ومين رايح يغنِّي؟

- ويْ سلامتك ! سعاد أختك، اليوم آنستنا بجيتها، أصلو جوزها خرج اليوم مع أصحابه في رحلة للطايف، ويرجع بعد يومين.

ويبدأ الغناء والطبل والعود وتشدو سعاد ببعض المواويل التي تؤكد للعم حسنين أن الفرج آتٍ بعون الله وأنَّ مع العسر

يأتي اليسر، ثم تشدو بصوتها الرخيم العذب، عازفة على العود عزف المحترفين أغنية يحبها العم حسنين كثيرا وهي :

على العقيق اجتمعنا إحنا وسود العيونِ
ما اظن مجنون ليلى قد جُن بعض جنوني
فيا عيوني عَيُونِي ويا جُفُونِي جَفوني
فارقتهم يوم الاثنين صبح الثلوث أوحشوني

ويبتهج العم حسنين، ابتهاجا ظاهرا، ويحمد الله على هذه النعمة ويسأله أن يصلح له الحال والأحوال، ثم يتوجه إلى أم العيال قائلا :

- شكرا يا زُهْرَهْ، على كل شيء، فرَّحتيني، وسلّيتي همي ولو بزبيبه.

- وتجيبه ضاحكة، لا بل بسعاد أختك.

ويبتسم الجميع وينصرف كل إلى حال سبيله سعيدا مبتهجا، وتمضي به الأيام وئيدة مثقلة بما يحمله في صدره من هموم الدنيا، إلى أن يطرق الباب في يوم من أيامه، أحد أصحاب الوفاء اللذين لم يتخلّون عنه في محنته حَمَتُّو قهوجي.

- يا حسنين لازم تجي معايا لقهوة الكنكار.

- خير إن شاء الله، إيش الموضوع ؟

- الجماعه حقوننا مجتمعين هناك وفي الليل مسوِّين أبو وجه أبيض، تعرفو ولاّ ما تعرفوا.

- أعرف إنه السليق، لكنِّي يا حمتو ما عندي حق الطلعة.

- أفا، مو عيب عليك تقول كده، أنا دفعت عني وعنك خلاص.

ويذهبان، ويقضيان وقتا سعيدا تحت شجرة النيم المعتادة بالقرب من البركة، مع هبات تلك النسمات الحانية، ممتلئة برطوبة ذلك الماء المتجمع من مياه الأمطار والسيول، ويقابلها بئر الهيطلي، والذي تستقي من مائه معظم المسفلة.

وفي غمرة الفرح والانبساط يحضر أحد ضباط الشرطة وهو مدير شرطة المسيال، ومن الأحباب لبعضهم فيرحب به الجميع، وبعد جلوسه والتعرف على البقية الباقية من الحاضرين يقول مخاطبا العم حسنين:

- إنت فين يا أبا عبدالله.

ويتوجس العم حسنين أبو عبدالله في نفسه خيفة، بأنه مطلوب من قبل الديَّانة والذين شكوه بكل تأكيد للشرطه، وأخذ يستلطف الله في ما سيكون عليه الأمر، وإذا بالضابط يقول مكملا :

- كنَّا بندور عليك يا أخي.

- خير إن شاء الله.

- سلاح الحدود مسكوا سيارات محملة بمواد غذائيه، وخردة وحديد، بيهربوها خارج الحدود على حدود اليمن، وبعد ما قبضوا عليهم وحققوا معاهم اتضح أنهم حرامية، وإنهم سارقين كل إللي معاهم من مكة.

- يارب سترك، حسبنا الله ونعم الوكيل.

- لا، ومعاهم كمان الصبي إللي كان عندك، أظن اسمه علي.

- تمام اسمه علي، عسى الله يعلُّه، ولا أقول لك الله يكافيه البعيد.

- على كل حال ألف مبروك، وترى كل إللي لك موجود عندنا ويبغالك تجي تستلمه.

وبفرحة غامرة يشكر العم حسنين الله سبحانه وتعالى على نعمه الجليله، ويسجد سجود الشاكرين لأنعمه جلت قدرته، ويشكر الضابط الذي نقل له هذه البشرى، ويقول بصوت مسموع :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا

وعند الله منهـــا المخـــرج

ضاقت، فلما استحكمت حلقاتها

فرجت، وكنت أظنها لا تفرج

ويدعو العم حسنين الأصحاب جميعا على عشاء ، وينادي حمدتو :

- خلونا نرقص المزمار.

ويقضون ساعات جميلة يرقصون على المزمار، ثم يستمعون إلى الشيخ عمر عيوني وقصائده الجميلة بأنغامها المكية ، وتعم الفرحة بهذا الفرج ، وفي خضم هذا اللقاء ينادي العمدة :

- تراك مقروع يا حسنين .. تراك مقروع بالحارة .. تراك مقروع بالموجب .. ما تخلي حوشك مفتوح .. وصك بابك بالظبة والمفتاح .. تراك مقروع يا صاحب تراك مقروع بالموجب.

ويسدل الستار على قصة العم حسنين بهذه النهاية السعيدة، وتعود الأفراح والليالي الملاح لأسرته، ويعوضه الله بأضعاف ما كان عليه من الخير، ويُلبس زوجته زُهْرَه عقد من اللؤلؤ ويقول لبناته :

- ترى يا بنات أمكم أثبتت أنها إنسانة وبنت رجال ، ولا تظنوا أني ما عرفت أنها باعت المصاغ على شان تستر علينا وتدبر أمورنا ، لأن صاحبنا الفارسي أخبرني يوم باعت المصاغ عنده، وكان مستغرب ، صحيح والله إنك بنت رجال يا زهرة .

وضم الأولاد إلى صدره ، واحتضن زوجته وهو يردد:
فرجت وكنت أظنها لا تفرج.

أولاد حارة البحر

حارة البحر إحدى حواري مدينة جدة وهي تنقسم إلى عدة حواري حارة البحر، وحارة اليمن، وحارة المظلوم، وحارة الرويس ، ويعيش في هذه الحارة رجل يعمل بحارا اسمه «سعيد الدخش» وهو يتعامل مع البحر ودائما يذهب ويصطاد من الجزر، ويعود برزقه، ويقوم وحده بقيادة القارب والصيد، وعندما يعود يبيع جميع حصيلة الصيد إلى شيخ في البنقلة معروف بأنه يأخذ من الصيادين ويبيع للناس اسمه «المناع».

يستمران في التعامل، وتنشأ علاقة بين «المناع» و«الدخش» ويرتاح المناع لأخلاقياته، والقصص التي يرويها عن البحر وبعض الأحيان يذهب معه ويجلسان في مركاز حارة البحر، ويستمعان للقصص، وفي بعض الأحيان يأتي من يروي لهم قصص من الحارات الأخرى ، ويتناولان الشاي ، ثم يعودان إلى بيتيهما ، ويتكرر مجلسهما في المركاز حيث يذهبان بعمائمهما وملابسهما وسديرياتهما

في الناحية الأخرى من الحارة يتجمع شباب حارة البحر ويلعبون المزمار والصهبة، ويتعاملون مع بعض بأخلاقيات

سامية علمها لهم آباؤهم ، واشتهر أولاد حارة البحر بأنهم ذوو قيم وأخلاق عالية .

في أحد الأيام يحدث الشيخ المناع الدخش بأن أهله يرغبون في الذهاب للبحر في النهار في رحلة صيد ، زوجته وابنته وخالتها ، ويهتم الشيخ الدخش بطلبه ويعمل على ترتيب الرحلة ، ويتكلم مع ابنه «صالح» ليقوم بترتيب الرحلة ، ويساعده ، ويبدي الوالد رغبته في أن يأخذان قارب أكبر من أحد الصيادين حتى ترتاح فيه العائلة، ولكن الولد يرى أن لا يأخذان قارب أحد، وأن يكتفيا بقاربهما ، وهذا افضل .

لكن مع إصرار الأب يرضخ صالح ويستعير قارب من أحد الزملاء في المرسى ، ويعدان العدة ويأخذان «اللعف» وتذهب العائلة معهم ، وتمضي ساعات.

يلاحظ صالح أن بنت الشيخ المناع «عواطف» فتاة مدلعة وطلباتها كثيرة، وتتمادى في تعليقاتها على السمك وطريقة صيد السمك، وفي بعض الأحيان ترفع صوتها ، ولم يرتح لطريقة التعامل معها ، ولكنه تقديرا لوالدها استمر في الرحلة.

بعد العودة أوصلوهم إلى المنزل ، وتستمر العلاقة ، ويحس صالح أن والده يحتاج إلى عونه ، ويعرض عليه أن يذهب معه في بعض الأيام لمساعدته في الصيد ، ولكن الوالد يرفض ويرجوه ان يتفرغ لدراسته لأنه يتطلع إلى أن يحمل صالح شهادة تؤهله للعمل.

أمام إصرار الابن يسمح الأب له بمصاحبته في بعض الأيام، ويكتسب خبرة كبيرة في البحر، ويعود إلى زملائه في حارة البحر، ويخبرهم بالأوقات الجميلة التي يقضيها مع الوالد في البحر ، وشعوره بالفخر أنه يساعد والده .

بعد عدة أشهر يفاجأ صالح بأن والده يخبره بأن الشيخ مناع يرغب في رحلة صيد أخرى للعائلة ، ويتردد صالح كثيرا بعد ما لاحظه من عدم ارتياحه لتعامل الفتاة ، ولكنه أمام إصرار والده ورغبته يوافق ويعد للرحلة.

يلاحظ صالح أثناء الرحلة أن الفتاة تغيرت كثيرا ، وكأنها أحست بالذنب من تعاملها السابق ، ويمضي يوم جميل في الصيد، وأثناء سحب بعض السمك تشد هي خيط اللعف، ولكن السمكة كانت كبيرة، فساعدها صالح على سحب السمكة، وفرحت وهي تنادي على أمها ، وفرح الجميع ولكن صالح لاحظ أن إصبعها يدمي بعض الشيء ، من ضغط خيط الصيد وطرف الشنكار، فيسرع ويضغط على يدها ، ثم يحضر لفة لديه ويضعها على يدها، ويغطيها، فتشكره الأم ويعودوا في نهاية اليوم إلى المرسى، ويفاجأ بأن أخاها «علاء» في انتظارهم بسيارته على المرسى ويقوم صالح بمساعدتهم على النزول من القارب، ولكنه أثناء مساعدة عواطف يشفق عليها صالح من الجرح الذي في يدها ، فيقبض على يدها ، ويغلق مكان الدم .

فجأة يحصل ما لم يكن في الحسبان ، حيث يصرخ علاء في وجه صالح لأنه مسك بيد أخته عواطف ، ويحاول صالح أن يشرح له أنها جرحت في البحر، ولهذا يساعدها، ولكن علاء يتعامل مع صالح ووالده بأنفة وتعال أثرت في نفسية صالح وغادر المكان ، وحاول والده أن يشرح لعلاء الأمر ، وغضبت الوالدة من حديث ابنها، وأخبرته أن هؤلاء الناس أكرموهم واعتنوا بهم، ثم تتحدث عواطف بأن صالح كان في غاية الاحترام والمروءة معهم، ولكن علاء يصر على موقفه وينصرف الجميع .

تمضي الأيام، ويبدأ صالح في التعود على رحلات البحر، ويقوم بمساعدة والده بصورة أكبر، ويطور عملية الصيد، ويستعين بزملائه في حارة البحر، وبعد سنوات يتقدم في الدراسة بنجاح كبير، وفي جلسة من جلسات المساء بين الشيخ المناع والبحار الدخش يخبره بأن العائلة يقدرون لهم مواقفهم السابقة هو وصالح ، وأن والدة عواطف ترغب في أن تزوج بنتها لصالح بعدما عرفت عن أخلاقه، ويفرح الدخش كثيرا ، ويذهب إلى المنزل ، ويخبر ابنه الذي يرفض الفكرة تماما ويقول لوالده :

- إن في منزل الشيخ مناع إنسان سيئ الخلق متغطرس ولن أنسى له الإساءة والطريقة التي تعامل معنا بها .

ويحاول الأب أن يخفف عنه ولكن صالح يصر، وأنه يرغب في إكمال دراسته ويعود الدخش في الليلة الثانية للشيخ مناع

ويخبره بحديث ولده ، وأن صالح مصر على إكمال دراسته، وأنه يدعو الله أن يسخر لها ابن الحلال.

بعد أشهر يعيد الشيخ مناع الحديث مع الدخش ، بأنه مستعد أن ينتظر إلى ما بعد إتمام دراسة صالح وفقط يعملون الآن خطوبة وملكة ومرة أخرى يحمل الدخش الفكرة إلى المنزل، ولكن صالح يرفض، وتحاول أمه إقناعه بأن الفتاة طيبة ، ولكنه لا يقبل بأي حال من الأحوال .

ثم تأتي الفرحة الكبرى عندما تخرج صالح من الثانوية، وحصل على بعثة إلى مصر في كلية الطب، وفرح والده، وفرحت العائلة وحتى الشيخ مناع وأهل حارة البحر أعربوا عن فرحتهم واحتفلوا بصالح .

واستمر صالح يرتب لموضوع السفر، وذهب مع والده في رحلة صيد، وعاد بأسماك كثيرة، وكانت سعادته غامرة أن الأمور انفتحت أمامه ، ولكن والده أحس بتعب عارض لم يمكّنه من الذهاب طوال الأسبوع للصيد، فأصر صالح أن يذهب هو، وأمام إلحاحة سمح له الأب بعد أن عرف أنه قد تدرب وفهم الصنعة .

يخرج صالح إلى الجزر، ثم يبقى لساعات ولا يجد صيد وفير، فيتقدم نحو (عرق المجرى) وهو مكان بحر عميق تسير

فيه أسماك الناجل تعود الصيادون أن يجدوا فيه الصيد الوفير، ولكن البحر كان هائجا، والأمواج تحرك القارب بشدة يمينا ويسارا .

استمرت العاصفة وهيجان البحر، وصالح يكافح بمفرده ويحاول تثبيت القارب، ويتذكر نصائح والده في مثل هذه الظروف، وأن على الإنسان أن يحترس لأن البحر غدّار، وفي غمرة هيجان البحر يسمع صالح صوتا من بُعد لإنسان يصيح ويحاول الاقتراب منه ، ولكن هيجان البحر في الناحية الأخرى أشد، وكانت المفاجأة أن يرى صالح أن الذي يصيح وينادي ويطلب الغوث وعلى وشك الغرق هو علاء ابن الشيخ المناع، ويتذكر موقفه الغليظ وسلاطة لسانه وكبرياءه، فيبتعد عنه، ويتركه للبحر، فمازال يتذكر إهاناته والطريقة التي عامله بها، في وقت أحسن فيه هو إلى أهله وأخته .

يواصل الابتعاد عنه، ويرتفع صراخ علاء واستغاثته، ويحس صالح بصراع الضمير ، بين واجبه نحو انقاذ هذا الإنسان، وبين ألمه لما أصابه من جرح منه مايزال غائرا في نفسه، ويتذكر أحاديث والده عن المروءة والتسامح والعفو في ساعات القدرة ، وأحاديث جماعة المركاز في حارة البحر وأخلاقهم ومروءاتهم، وكيف يربون أولادهم على ذلك اللون من السمو والتسامح ، وتنتصر في داخله مروءة أولاد حارة البحر، ويقترب بشدة من مكان

علاء، ويرمي له الحبل، ويساعده على الاقتراب من القارب، ويحاول ان يبتعد عن مكان هيجان البحر، ثم ينتظر هدوء البحر ويساعده على الصعود إلى القارب ، ويرتمي علاء ، وهو خائر القوى وينظر إلى صالح وهو يقدم له الماء ، ويحاول مساعدته على استعادة أنفاسه .

بعد قليل يتحدث علاء ويقول :

- يا صالح أنا ما أقدر أجازيك .. أنقذت حياتي يا صالح.

وينظر اليه صالح وهو يواصل مساعدته :

- الحمد لله على السلامة .

ثم يتجه به عائدا إلى المرسى في جدة ، ويكرر علاء الاعتذار والأسف ، وفي المرسى يخاطبه صالح :

- ترى يا علاء أنا ما ساعدتك إلا لأن هذه أخلاق أولاد حارة البحر.. أسأت إليّ وأنا أحسنت إليك لأنك إنسان لك رصيد كبير عندي ، وهذا الرصيد هو مروءة أبيك وأمك معنا، وما ننسى الجيرة والاحترام رغم الطريقة السيئة التي عاملتني بها، وأنا أحاول مساعدة أختك «عواطف» لكن عليك أن تتذكر أننا أولاد حارة البحر نعتز بمروءاتنا، ولكننا لا نقبل من أي انسان أن يدوس على كرامتنا ، ولولا أخلاق أولاد حارة البحر

لتركتك تلقى مصيرك بين أمواج البحر ، وشفع لك رصيد الوالد وأسرتك .

وحاول علاء أن يكرر الاعتذار ولكن صالح سار في الطريق الآخر متوجها إلى حارة البحر .

ومضت الأيام ، وتكرر الاتصال من عائلة عواطف بأنها ترغب في الارتباط بصالح ، لكنه أصر على موقفه ، وأنه يريد أن يكمل دراسته ، وسافر إلى مصر ، ومضت سنوات الدراسة ، وآلمه أن يسمع عن تدهور صحة عواطف حتى أصبحت تعزف عن الطعام ، وشاع في حارة البحر مرضها ، وآلمهم لأنها بنت إنسان صالح هو الشيخ مناع ، وبدأوا يتداولون القصة ، وتعلقها بصالح ورفضه بين مؤيد ومعارض ، وصالح لا يلتفت إلى أي شيء من ذلك ، يحضر من مصر ثم يعود ليواصل دراسته .

تخرّج من الجامعة ، وعاد إلى جدة وبدأ في ممارسة عمله كطبيب ، وفرح به الوالد والوالدة والأهل ، وسمع عن تدهور صحة عواطف ، وذهب إلى الشيخ مناع ، أخبره بأنه يرغب في مساعدتهم في علاج عواطف ، وشكر له الرجل مروءته ، وقام بعمل الترتيب، ليقوم صالح بالكشف عليها والاطلاع على ما كانت تتناوله من أدوية .

أثناء اللقاء نظر صالح إلى عواطف ، وأحس بألمها وقلقها ، وأنها قد فقدت الكثير من وزنها ، وأمها توضح بأنها لم تعد تأكل ولا تشرب ، وأحس صالح بأن مرض عواطف نفسي أكثر منه جسدي ، وأن جزءاً من هذا الألم بسبب موقفه هو منها وتعلقها به ، وانحنى يواصل فحصها ، وهي تنظر إليه ، وبعد قليل وضع في يدها جهاز الضغط ، ثم سحب جهاز قياس الحرارة ، وتحسس أجزاء من جسمها ليتأكد من ضربات القلب ، وفوجئ بأنها تمر بحالة ضعف خطيرة ، وأمسك بيدها يحاول قياس النبض ، ولاحظ قطرات من الدمع تتساقط من عينيها ، وابتعدت الأم خارجة وسمعتها تقول :

- سامحني يا صالح .. سامحني أرجوك .

ويمسك صالح بيدها ويقول :

- أنت سامحيني يا عواطف ، ولكن أنا واثق أن كل شيء إن شاء الله رايح يتصلح ، وحتكوني بخير وعافية ، وأنا غيرت كل الأدوية وعلاجك في الأكل ، فأرجوك كلي وغذي نفسك .

- إذا أنا حا آكل وأتعافى علشانك أنت بس .. وعلى شان طلبت.. وما أخفيك إني عشت السنوات الماضية كلها وأنا أتذكرك وأتألم لما فعله علاء معك ، وأحس بعمق الذنب ، وأدعو لك بالنجاح والحمد لله نجحت .. بس أكرر يا صالح سامحني .. أرجوك سامحني .

ويكمل صالح إعطائها بقية الدواء ، ويجلسها ثم ينصرف على أساس أن يعود إليها بعد أن تتحسن حالتها وعاد إلى المنزل وشرح لوالده ما تم فبكى الوالد وبكت أمه وهي تقول :

- الحمد لله أنك أثبت أنك ولد أصول ورفعت رأسنا ، وموقفك مع عمك مناع وبنته موقف نبيل .

وبعد أيام كان يسير في الحارة ، ويستمع إلى بعض كلمات التجريح بأنه كان خلف مرضها ، ولكنه لا يلقى بالاً لكل ذلك، ويواصل عمله واتصاله ، ويأوي إلى بشكته في المساء من أولاد حارة البحر ، ويقضي معهم ساعات ممتعة .

بعد أسبوع حمل حقيبته وذهب إلى منزل الشيخ مناع ليطمئن على عواطف ، وطرق الباب ووجد الشيخ مناع يقف على الباب ويقول :

- ولد أصول .. ولد أصول يا صالح .. لكن قضاء الله أسرع ياولدي.. لقد توفت الآن عواطف والحمد لله على كل حال.

وظل بجوارهم ، وتم تشييع الجنازة وهو يسير مع الناس ويستمع الى تعليقات من بعضهم ، وكأنه هو السبب في كل ما حصل ، ويتقدم احد المشيعين ويقترب منه وكأنه يريد أن يسمعه حديثه :

- صحيح.. صحيح كلام الناس إللي قالوا : يقتلوا القتيل ويمشوا في جنازته.. عجيبة ناس ما تخجل لا من الله ولا من خلق الله.

ويرد عليه من الطرف الآخر زميل له :

- صحيح يقتلوا القتيل ويمشوا في جنازته .

ولم يستطع صالح تحمل البقية الباقية ، واغتنم اقتراب الجنازة في اتجاه مقابر أمنا حواء ودخل الى زقاق جانبي ، وهو منكس الرأس ، وعاد الى منزله ، ولقيته أمه وضمته إلى صدرها ، وشكا لها ولكنها طمأنته قائلة :

- إن هناك رب يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وأنت ولدنا يا صالح ، وأهل حارة البحر يعرفوا أخلاق أولاد حارة البحر .

حادثة عند دوار الجامعة

ارتفع صوت صرير عجلات السيارة وهي تتوقف فجأة بعد أن كانت تسير بسرعة كبيرة نجم عنها ذلك الصوت المزعج الذي استلفت انتباه المارة الذين كانوا يسيرون في الشارع..

وتلا ذلك صوت ارتطام السيارة بجسم ما ، ثم صوت عجلات السيارة وهي تستأنف انطلاقها بسرعة هائلة وقد ارتفع هدير محركها بصورة توحي بالمأساة التي وقعت..

واتجهت الأنظار إلى السيارة التي لم يكد يلمحها أحد ، ثم تحولت إلى الجسم الدامي الذي خلفته بنتيجة الاصطدام ، وقد بدأت تتجمع حولها بقعة كبيرة من الدماء..

وفي دقائق كان الناس يتجمهرون حول الجسم المسجي بلا حراك وارتفعت الأصوات تتكلم دفعة واحدة..

- الرجل ينزف بغزارة..

- إنه يوشك أن يفقد دمه كله..

- يا جماعة افعلوا شيئا .. أي شيء..

- ليتصل أحدكم بشرطة النجدة أو الإسعاف..

- ياله من مجرم.. ذلك السائق الذي لاذ بالفرار وترك ضحيته ملقاة على الأرض..

- تعالوا بنا ننقله إلى المستشفي..

- لا.. لا.. لا يجوز تحريكه من مكانه قبل أن يصل رجال النجدة..

حدث ذلك صباح يوم السبت ، عند «الدوار» القريب من جامعة الملك عبد العزيز في جدة وعلى مسافة بضع عشرات من الأمتار من السكن الجامعي القريب من الجامعة..

وكان معظم المارة من الطلبة الذين كانوا يتجهون إلى جامعتهم سيرا على الأقدام فالمسافة بين الحي الجامعي والسكني وبين الجامعة ليست بالبعيدة..

وبينما كان المارة يعلقون على الحادث ، كلاً حسبما يتراءى له ، التفتوا جميعا بحركة تلقائية عندما تنامى إليهم صوت سيارة شرطة النجدة وهي تقترب، ثم لم تلبث أن توقفت ليهبط منها ضابط شاب برتبة ملازم..

- الحمد لله .. لقد وصلت سيارة شرطة النجدة.

نطق الناس بهذه العبارة وهم يروون إلى الضابط وهو يتقدم منهم ، فأفسحوا ليه مكانا ليلقي نظرة على المصاب ثم يسارع

إلى سيارته ليخاطب غرفة العلميات بجهازه اللاسلكي طالبا إرسال سيارة إسعاف.. وعاد الضابط إلى المتجمهرين يسألهم عن معلوماتهم ، فتطوع أحد الطلبة للحديث:-

- أنا رأيت الحادث يا حضرة الملازم.

- هه .. قل .. ماذا جرى؟!

- لقد سمعت أولا صوت الفرامل ، ثم صوت ارتطام السيارة بشئ ، وحين وجهت نظري نحو مصدر الصوت رأيت هذا الرجل ملقى على الأرض ، ومؤخرة سيارة ذات لون أسود وهي تستأنف انطلاقها بسرعة كبيرة.. وأيد الآخرون إفادة الطالب ولكن خيبة الأمل ارتسمت على وجهه ، فليس في هذه المعلومات المبتسرة ما يمكن أن يهدي العدالة إلى مرتكب الحادث..

وأدار الضابط وجهه في الأشخاص المتجمهرين حوله وسألهم:

- هل رأى أحدكم رقم السيارة؟!

وكان الجواب صمتا مطبقا

وعاد الضابط يسأل:

- نوعها؟!.. طرازها؟!.. أية معلومات يمكن أن تدل عليها؟!

وقبل أن يسمع جواباً على أسئلته حضرت سيارة الإسعاف وسارع رجالها إلى فحص المصاب ليتبينوا كما توقع الضابط أن المصاب قد توفى فور وقوع الحادث فحملوه إلى المستشفي لإيداع الجثة في الثلاجة وأمسك الضابط بميكروفون سيارته وأدلى بمعلوماته إلى غرفة العمليات لتعميمها على كافة سيارات شرطة النجدة..

وبينما راح الضابط يسجل مخطط الحادث وموقع الجثة وآثار التوقف المفاجئ للسيارة اقترب منه شاب يرتدي مشلحاً أنيقا واقترب من الضابط وهو يقول:

- عفواً يا حضرة الضابط.. لقد بعث بي معالي مدير الجامعة لأخبركم بأنه مستعد لتحمل كافة تكاليف الإصلاح والتعويض و...

وتلفت الشاب حوله كأنما يبحث عن أحد ، ثم انتبه على صوت الضابط وهو يسأله بدهشة:-

- وهل معاليه هو الذي ارتكب الحادث؟!

- لا بالطبع.. إنه في مكتبه منذ ساعة مبكرة وهو يرأس إحدى اللجان الآن..

- ما هي إذن علاقة معاليه بالحادث؟! هل السيارة الجانية تابعة للجامعة؟!

- لا.. ولكن معاليه يعرف السائق الذي ارتكب الحادث..

وعاد الشاب يدير بصره فيما حوله ثم قال وكأنه يحدث نفسه:

- لقد كان معي قبل قليل..

واتجه الملازم إلى سيارته واتصل بجهازه اللاسلكي بغرفة العمليات قائلا:

- آلو.. آلو.. أوقفوا البحث عن سيارة حادث دوار الجامعة.. لقد توصلت إلى بعض المعلومات وأريد متابعتها .. انتهى..

ووضع الضابط الميكروفون ، والتفت إلى الشاب ذي المشلح الأنيق يسأله..

- هه.. الآن.. قل لي.. ماذا لديك؟!

- إنني لا أعرف شيئا عن الحادث بحد ذاته.. ولكنني أنفذ ما كلفني به معالي مدير الجامعة.. لقد طلب مني أن أبلغكم إنه مسؤول عن جميع الأضرار التي نجمت عن الحادث..

وبدأت الدهشة الشديدة على وجه الضابط وقال للشاب بشئ من الحدة:

- حتى ولو كان المصاب في الحادث قد توفي؟!

- توفى ؟!

هتف الشاب بذهول وأضاف والدهشة تبدو بوضوح في لهجته:

- لم يقل لي معاليه إن في الحادث وفيات..

فقال الضابط:

- يا صاحبي.. نحن الآن أمام جناية.. هه؟!.. هل تسمعني؟!.. نحن أمام جريمة قتل.. رجل صدم آخر بسيارته فقتله.. وأنت تقول لي إن معالي مدير الجامعة قد كلفك بإبلاغ الشرطة بأنه مسؤول عن جميع التكاليف والأضرار.. ومعاليه في مكتبه لم يغادره.. والسيارة ليست تابعة للجامعة.. فماذا يمكنني أن أفهم من هذا كله؟!

وارتسم الخوف على وجه الشاب وراح يبلع ريقه بصعوبة شديدة وهو يقول:

- أنا ما لي دخل يا حضرة الملازم.. ومعالي المدير أيضا ليس له دخل.. الأمر وما فيه .. فقاطعه الضابط قائلا بلهجة حاسمة:

- إنني أعتبرك موقوفاً إلى حين اتضاح الحقيقة.

- أ.. أنا؟!

- نعم.. مادمت الوحيد بين الموجودين الذي يعترف بنفسه أن له علاقة بالحادث..

- ولكن..

- كفى.. تعال معي إلى معالي المدير لنرى مدى صحة كلامك..

ولف الشاب جسمه بمشلحه ودلف إلى سيارة شرطة النجدة وقد بدأ عليه الخوف الشديد وقال وهو يتهالك على مقعد السيارة:

- والله يا حضرة الملازم أنا ما لي دخل .. أنا عمري ما دخلت قسم شرطة.. ولا عمري ركبت سيارة نجدة.. ولم يجب الضابط بشيء ، بل أمر السائق بأن يتوجه إلى مبني مكاتب الجامعة..

- هذا صحيح .. أنا الذي بعثت هذا الشاب واسمه صالح وهو يعمل في مكتبي ليبلغكم استعدادي لتحمل كافة النفقات الناجمة عن الحادث..

قال مدير الجامعة ذلك وهو يخاطب الضابط الذي ألحّ في مقابلته رغم انشغاله في اللجنة فخرج إليه وأجاب على تساؤله حول مدى صحة كلام صالح.

وعمت معالم الدهشة وجه الضابط فقال بشيء من الارتباك؟!

- ولكن.. ما هي علاقة معاليكم بالحادث؟!

- ليس لي علاقة طبعا.

- إذن.. كيف علمتم به؟!.. وما هو سبب استعدادكم لتحمل التكاليف؟.. ثم هل تعلم معاليك بأن المصاب قد مات؟!

- مات؟!

قال مدير الجامعة تلك الكلمة بدهشة شديدة دلت على أنه لم يكن يعلم بموت المصاب وردد في حيرة :

- مات؟! .. مات؟!

والتفت إلى صالح قائلا:

- إنت لم تقل لي أنه قد تسبب في موت إنسان؟!

- عفوا يا معالي المدير.. عمن تتحدث؟!.. ومن هو الذي لم يقل ذلك؟!.. وكيف بعثت بالأخ صالح إلى مكان الحادث بعد فترة وجيزة من وقوعه؟!

وقطب مدير الجامعة مفكرا ، فهو — كما قال الملازم — أمام أمر لا يعرف له تفسيرا ، وحين بعث بموظف مكتبه للتفاهم على تسوية الموضوع كان يظن أن الحادث مجرد تصادم عادى وليس فيه قتيل..

- سأروي لك ما عندي منذ البداية.

- هذا أفضل يا معالي المدير..

وقبل أن يبدأ مدير الجامعة كلامه ارتفع صوت صالح بتوسل قائلا وأنه ينتحب:

- أيوه.. أرجوك يا معالي المدير.. قل له.. قل لحضرة الضابط إني ما لي دعوى بالمسألة.. وأنه معاليك أرسلتني لمجرد إبلاغهم برغبتك في تحمل التكاليف.. أرجوك يا معالي المدير.. أرجوك

ورد المدير على صالح بلهجة حازمة:

- بس .. كفاية.. أنت لا شأن لك بالموضوع..

- كتر خيرك يا معالي المدير..

والتفت المدير إلى الضابط وروى له ما عنده:

- إن ما أعرفه عن الموضوع هو أنني كنت أستخدم سائقا يدعى عبدالكريم حمادى أثناء عملي في الرياض.. وقد جاء هذا الرجل صباح اليوم إلى مكتبي قائلا إنه يريد مقابلتي لأنه كان ينقل عائلته من جدة إلى الرياض وإنه اعتبر أن من غير اللائق أن يمر بجدة دون أن يسلم عليَّ.. وعند وصوله إلى دوار الجامعة بسيارته وقع له حادث وأنه يطلب مساعدتي لتغطية الأضرار.. وحيث أنني كنت في اجتماع هام طلبت من صالح أن يدفع له مبلغا من المال كمساعدة وأن يذهب معه إلى مكان الحادث ليبلغكم استعدادي لتحمل نفقات الأضرار الناجمة عن الحادث.. هذا هو كل ما أعرفه عن الموضوع..

- ولكن المسألة فيها رقبة.. رقبة قتيل يا معالي المدير..

قال صالح ذلك بصوته الذي خنقه التأثير فعلق المدير مخاطبا الضابط:

- إن أحدا ما لم يذكر لي شيئا عن وجود قتيل.. وإلا فالموضوع يختلف تماما.. والتفت الضابط إلى صالح وقال له:

- إنك لم تذكر لي شيئا عن عبدالكريم هذا..

- لقد رافقني إلى دوار الجامعة وأشار من بعيد إلى مكان الحادث.. وإلى عائلته التي كانت جالسة على جانب الرصيف ثم توارى عني ولم أنتبه إلى غيابه إلا بعد أن رأيتك وأبلغتني بأنني مو.. موقوف..

- كان يجب عليك أن تخبرني عن ذلك في حينه..

- لم يتح لي المجال لكي أخبرك..

وتدخل المدير قائلا:

- أرى أن تأخذ الأمور بتروٍّ أيها الأخ الملازم.. سأتصل الآن بالرياض لنعرف متى غادرها عبدالكريم.. إني أعرف أين أجده.. فقد انتقل إلى العمل لدي أحد الزملاء في وزارة المعارف وهو الدكتور صلاح..

- إنك تساعدنا مساعدة كبيرة بهذا السؤال يا معالي المدير..

قال الملازم ذلك وهو ينهض ، ثم خاطب صالح قائلا:

- هل لك أن ترافقني يا يا أخ صالح إلى مكان الحادث لتدلني على عائلة عبدالكريم التي قلت إنك شاهدتها على الرصيف بعد توارى الرجل عن أنظارك؟

مع أنه بدأ واضحا أن صالح كان يتمنى لو أن الضابط قد أعفاه من هذه المهمة ، إلا أنه نهض باستسلام واستأذن من المدير الذي كان يرفع سماعة التلفون طالبا الاتصال بالدكتور صلاح..

تنهد صالح بارتياح حين رأى أن عائلة عبدالكريم لاتزال في مكانها على الرصيف ، فالتفت إلى الضابط وهو يقول في فرح:

- تلك هي العائلة يا حضرة الضابط.. هل تصدقني الآن؟..

ولم يجب الضابط بشيء بل حث الخطى نحو النسوة اللواتي أشار صالح إليهن من بعيد وصالح وراءه يحاول أن يلحق به..

وإذ وصل الاثنان إلى المكان تبادلا نظرات متسائلة ، فلم تكن هناك عائلة كما كان صالح يظن وإنما بعض النسوة اللواتي اعتدن الجلوس في هذا المكان وبيع بضاعتهن من المصنوعات اليدوية البسيطة..

وعاد الفزع يرتسم على وجه صالح ، وكأنه هو المسؤول عن النتيجة ولكن الضابط ابتسم له في لطف وقال:

- إلى أين؟!..

- إلى مكتب معالي المدير لنعرف نتيجة اتصاله بالرياض.. وبعدها يصبح لكل حادث حديث..

وعاد الاثنان إلى مكتب المدير ، بينما كانت أفكار الضابط تحاول عبثا ترتيب المعلومات التي توصل إليها حتى الآن بشكل منطقي.. فهو لم يفهم كيف تسنى لبعدالكريم أن يذهب إلى مكتب مدير الجامعة وأن يبلغه بما جرى ثم يختفي في وقت قصير جداً مع أن المدة التي انقضت ما بين وقوع الحادث ووصول سيارة شرطة النجدة ليست طويلة.. كما أن الشهود قد أجمعوا على أن السيارة قد انطلقت دون توقف فور وقوع الاصطدام..

ثم — تساءل الضابط في سره — ما الذي يدعو عبدالكريم إلى الادعاء بأنه يصطحب عائلته التي تبين أنها غير موجودة..

وهز الضابط الشاب رأسه كأنما هو يعيد ترتيب خواطره المبعثرة التي لا تتسق مع بعضها لاسيما بعد أن أكد له مدير الجامعة بنفسه أن معلومات صالح صحيحة..

وقال الملازم لنفسه وهو يلج مكتب المدير:

- هناك شيء غامض .. شيء لا نعرفه عن هذه القضية..

ولم يكد ير المدير حتى قرا على وجهه ما جعله يتوقع أنباء غير عادية فقد قال له اذ وقع نظره عليه:

- شيء غريب.. لقد اتصلت بالدكتور صلاح في الرياض.. فأكد لي أن السائق عبدالكريم موجود هناك وكانت لهجة المدير تشي بالحيرة وهو يقول كلماته، فارتسم الذهول على وجه الملازم بينما صاح صالح دون انتباه:

- غير معقول يا معالي المدير..

- هذا ما أكده لي الدكتور صلاح .. قال لي إن عبدالكريم قد أوصله هذه الصباح إلى مكتبه كالمعتاد وتساءل صالح بسذاجة:

- وكيف استطاع إذن أن يرتكب الحادث في جدة وهو لايزال في الرياض؟

وساد الغرفة صمت تام خلا فيه كل من الموجودين إلى أفكاره..

فالمدير كان يرى أنه قد تورط بشكل أو بآخر في قضية غامضة.. مع أن دافعه كان هو حب الخير والرغبة في المساعدة ، فإذا كان عبدالكريم بريئاً فمعنى هذا أن تدخله قد أتاح الفرصة للجاني الحقيقي كي يفر..

وصالح كان يتساءل في سره عما يفعل فيما لو اعتبره الضابط عن حق قد ساهم في هروب جان وتعطيل ملاحقته رغم أنه لم يكن سوى منفذ لأوامر مدير الجامعة..

أما الضابط فكان يحاول وضع هذه المعلومات الجديدة في مكانها الصحيح ضمن ما تجمع لديه من معلومات ليس فيها بصيص واحد يهديه إلى الجاني..

وتكلم المدير أخيرا فقال:

- أنا آسف يا ملازم لهذا الذي حدث.. وأرى أن خير ما نفعله مبدئياً هو استدعاء عبدالكريم من الرياض لنحاول أن نستجلي بعض الحقيقة منه..

وأيد صالح الاقتراح بحماسة قائلا:

- تماما.. تماما يا معالي المدير.. ضروري أن يحضر عبدالكريم لكي يفسر كيف ارتكب الحادث في جدة وكيف توجه بعدها إلى الرياض بهذه السرعة.

وقطع صالح كلامه بعد نظرة صارمة من المدير ، وراح يتطلع إلى الضابط في لهفة منتظرا ما سوف ينطق به:

- أعتقد أن معاليكم تلاحظون بأن الملابسات التي ذكرها الأخ صالح تستدعي فعلا حضور الرجل الذي قال لكم بأنه مسؤول عن الحادث ، ولذا فإنني أؤيد رأي معاليكم كل التأييد.. لاسيما وأنكم ذكرتم استعدادكم لتحمل النتائج..

وكان المدير يشعر بأن الضابط على حق ، وأنه يتصرف وفق ما لديه من معلومات استقاها منه ، أي من المدير نفسه ، ومن موظف مكتبه..

ونهض الملازم وهو يقول:

- إذا سمحتم معاليكم.. فإنني سأصطحب معي الأخ صالح لأخذ إفادته رسمياً وعمل المحضر اللازم بانتظار حضور عبدالكريم من الرياض..

- ولعلنا نفهم منه إذ ذاك.. كيف ارتكب الحادث في جدة وهو كما قيل لمعاليكم موجود في الرياض.. ووضع يده على كتف صالح الذي انتفض كالملسوع ونظر إلى مدير الجامعة وكأنه يستنجد به ولكن هذا قال له:

- اذهب مع الأخ الملازم يا صالح.. وأنا مازلت عند كلمتي عن تحمل كافة النتائج فلا تخش شيئاً بإذن الله.. وبينما كان صالح يرافق الضابط كان المدير يرفع السماعة طالبا الاتصال فورا بالدكتور صلاح في الرياض..

مساء اليوم نفسه وصل عبدالكريم من الرياض وتوجه فور وصوله إلى جدة إلى منزل مدير الجامعة الذي زوده مخدومه الدكتور صلاح بعنوانه، ولم يكد يقرع الجرس ويسأل عن مخدومه السابق حتى أدخله الخادم على الفور وجاء المدير وكأنه كان في انتظاره وحاول عبدالكريم أن يرى معالم البشاشة التي اعتاد المدير أن يقابله بها وفوجئ به يرد تحيته باقتضاب دون أن يردف ذلك بالسؤال عن أحواله وأحوال عياله كما اعتاد أن يفعل..

وبادره المدير بالكلام قائلا له على الفور:

- اسمع يا عبدالكريم .. هناك مشكلة.. مشكلة كبيرة.. بل كبيرة جدا..أقحمتني فيها على غير توقع مع إنني لم أكن أريد غير مساعدتك وإجابتك إلى طلبك..

ونظر السائق إلى المدير بدهشة شديدة وتساءل ببراءة :

- عم تتكلم طال عمرك؟.. وأية مشكلة هذه؟!.. إنني لا أنسي أفضالك عليَّ.. ولا أذكر إنني ارتكبت شيئاً يتنافى مع سابق ثقتك بي وعطفك عليَّ..

- لسنا الآن في موقف مجاملات.. سوف يحضر بعد قليل ضابط الشرطة.. وسيتولى الموضوع بنفسه وخير لك أن تخبرني بحقيقة ما حدث.. لا سيما وإنني كنت قد تعهدت للضابط رسمياً بأن أتحمل كافة النتائج المترتبة على الحادث.. ولكنني لم أكن أعلم أن المسألة فيها.. قتيل..

- قتيل؟!..

صاح عبدالكريم في فزع وشعر المدير في قرارة نفسه أن دهشة عبدالكريم حقيقية وأنه يبدو عليه وكأنه يتلقى النبأ لأول مرة فقال:

- إذا لم تكن تعلم بأن المصاب قد مات فليكن هذا معلوما لديك الآن..

وقبل أن يجيب السائق بشيء كان الخادم يدخل إلى الصالون معلنا وصول الضابط..

كان المدير يشعر بأبعاد الموقف الذي وجد نفسه فيه ، بسلامة نية وبدافع من طبيعته في مساعدة الآخرين قدر ما يستطيع..

ولكنه لم يكن يتوقع أن يجد نفسه في يوم من الأيام في مثل هذا الموقف الذي يتخذ فيه صفة المحقق البوليسي ، ويتدخل في تفاصيل لا علاقة له في الواقع بها ، بل ولا يرضي أن يجد نفسه مضطرا لمتابعتها خاصة وأن للعدالة يداً كبرى فيها ، فهناك قتيل صدمته سيارة جانية ، وهناك تعهد شفهي منه بتحمل النتائج .. وهناك..

وقطع عليه أفكاره دخول الضابط الذي ما كاد يلقي السلام حتى تساءل وهو يمعن النظر في عبد الكريم:

- هذا هو إذن عبدالكريم.. سائق معاليكم السابق؟..

- نعم..

- عفواً يا معالي المدير.. إنني أعتبر نفسي الآن في منزلك بصفة غير رسمية.. وأنا أقدر هذا الاهتمام الذي تبديه بالموضوع.. وأشعر بأنني أشغلك به عن أمور أكثر أهمية .. ولكنك تعلم بأن هناك جناية و..

- جناية؟؟...

صاح عبدالكريم مرة أخرى دون انتباه وقد بدت عليه معالم الدهشة نفسها والتفت إلى المدير يقول له في توسل:

- أرجوك يا معالي المدير.. أنا إيش دخلني بالحكاية؟!.. معاليك تقول قتيل والضابط يقول جناية وأنا والله العظيم ما عملت حاجة..

وسأله الضابط بلطف ، وقد شعر بمثل ما شعر به المدير من رنة الصدق البادية في كلامه:

- أين كنت صباح اليوم يا عبدالكريم؟!

- في بيت الدكتور صلاح..

- أين؟!..

- في الرياض طبعا.. وقد أوصلته إلى الوزارة كالمعتاد..

- كم كانت الساعة؟!

- السابعة والنصف كالمعتاد.. إنني أسكن في بيت الدكتور نفسه ولم أتركه قط..

- ألم تأت إلى جدة هذا الصباح؟!

- أنا؟!.. وإيش اللي يجيبني جدة؟!

- إنني أسألك.. هل كنت في جدة هذا الصباح؟!

- طبعاً لا..

وتدخل المدير الذي كان يتابع الحوار صامتاً وسأل عبد الكريم:

- ألم تأت إلى مكتبي هذا الصباح؟!

- أنا؟.. أبدا..

- ألم تطلب مقابلتي واعتذر لك مدير مكتبي بأنني في اجتماع مع احدي اللجان؟!

- أبداً.. أبداً..

وتبادل المدير مع الضابط نظرة متسائلة وقد سيطر عليهما شعور مشترك بالدهشة والاستغراب واستأنف المدير أسئلته.

- ألم تقل لمدير مكتبي إنك قد ارتكبت حادثة تصادم و...

- تصادم؟!.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. معاليك تعلم من سابق خدمتي عندك إنني حريص جدا ولم أرتكب في حياتي كلها حادثة تصادم واحدة.. ولله الحمد..

- وأين عائلتك!

كان صاحب هذا السؤال هو الضابط الذي التفت إليه عبدالكريم بسرعة وأجابه على الفور..

- في الرياض..

وأطرق الضابط مفكراً.. بينما كان عبدالكريم ينقل بصره بذهول ما بين مخدومه السابق وضابط الشرطة ثم قال:

- أرجوك يا معالي المدير.. إيش الحكاية؟! أنا كنت جالس في الرياض بأمان الله حين طلب مني الدكتور صلاح التوجه حالا إلى جدة ومقابلتكم.. ومن وقت ما دخلت لبيت معاليكم وأنا في سين وجيم.. وقال الضابط مخاطباً المدير:

- على كل حال ننتظر وصول الأخ صالح.. لقد طلبت منه الحضور مساء إلى هنا في الموعد الذي كنا نتوقع فيه وصول عبدالكريم من الرياض..

- صالح مين يا معالي المدير؟!

قالها عبدالكريم بصوت مختنق وقد بدأ في نبراته يأس عميق وكأنه طريدة أحكم الصائد الحبائل حولها ولكنه لم يسمع جوابا..

- صالح مين يا معالي المدير.. أبوس إيدك.. قل لي إيش الحكاية؟!

وأجاب الضابط وهو يضغط على الكلمات:

- الموظف في مكتب معاليه.. وهو الذي رافقك إلى حيث كانت عائلتك.. ثم تواريت عنه.. وتبين أنه لا توجد عائلة..

وألقى السائق رأسه على صدره في استسلام وكأنه يريد أن يعبر عن أنه لا يفهم شيئاً مما يقال له.. وقال المدير في نفسه:

- لو صدق شعوري فإن عبدالكريم واحد من اثنين .. إما بريء وصادق.. أو أنه ممثل بارع.. ولكنني عهدته دوما طيبا وخلوقا.. ولم أشعر يوما بأنه قادر على أن يمثل دور البريء بهذه البراعة.. ثم إن الرجل كان في الرياض.. بشهادة الدكتور صلاح.. ولعلنا قد قسونا عليه إذ رحنا أنا والضابط ننهال عليه بالأسئلة.. ولكن ماذا نفعل؟!.. هذه هي الطريقة الوحيدة لمعرفة الحقيقة. وتكلم الضابط مخاطبا المدير كأنه كان يتابع أفكاره.

- أعتقد يا معالي المدير أن الأخ صالح سيعطينا الإفادة الحاسمة.. فإذا تعرف عليه.. كان ذلك دليلا مهما.. وإن كان لا يكفي في الواقع.. إذ يجب علينا أن نفهم كيف تسنى له أن يرتكب الحادثة في جدة.. في نفس الوقت الذي يشهد فيه مخدومه بأنه كان في الرياض..

وكان عبدالكريم ينقل بصره بين الاثنين ، وقد أخذت الدهشة الشديدة التي كانت تبدو على وجهه تتحول إلى خوف وقلق.. وعاد يخاطب المدير بلهجة رجاء وتوسل:

- لو تتكرم وتفهمني بس إيش الحكاية يا معالي المدير؟!.. أرجوك؟!.. أنا ما عملت حاجة.. والله العظيم ما عملت حاجة.. ولا عندي علم بشيء.. واسألوا الدكتور صلاح.. أنا ما طبيت جدة من أكثر من ستة شهور.. ولأول مرة ابتسم له المدير في لطف وهو يقول:

- لا عليك.. لا عليك يا عبدالكرم.. الآن يأتي صالح.. والحقيقة تظهر..

وكأنما كانت عبارة المدير هذه إيذانا بقدوم صالح الذي ما لبث أن دخل عليهم بالفعل فور وصوله بعد أن أبلغه الخادم بأن هذه هي تعليمات المدير..

وبادره المدير فور دخوله قائلا:

- تعال يا صالح .. لقد جاء عبدالكريم..

- عبدالكريم؟!

هتف صالح بارتياح إذ كان معنى ذلك بالنسبة إليه إثبات كلامه الذي أدلى به إلى الضابط في إفادته الرسمية..

ووقف صالح يجيل بصره في الحاضرين والملازم ينظر إليه بدهشة إذ يبدو عليه أنه عرف عبدالكريم لأول وهلة..

وقال له المدير باستغراب:

- مالك؟!.. هذا مو عبدالكريم أمامك؟!

ووجه صالح بصره إلى السائق الذي كان ينظر إليه بارتياع بعد أن فهم بأن المشكلة التي وجد نفسه فيها والتي لا يعرف ما هي تماما بالضبط متوقفة على ما يقوله صالح هذا..

وجلس صالح وهو يواصل تحديقه في عبدالكريم.. ثم قال وهو يقلب شفته السفلى دلالة على الشك:

- أعتقد.. أعتقد أنه .. أنه هو..

وقال له المدير بلهجة حادة:

- إيش هالكلام هذا؟!.. كيف تعتقد؟!.. يعني ما أنت متأكد؟!.. هذا هو عبدالكريم؟!.. أنا أعرفه وقال الملازم مخاطبا صالح:

- السؤال يا أخ صالح هو.. هل هذا هو الرجل الذي اصطحبته معك صباحا إلى دوار الجامعة؟!..

ويبدأ على صالح التردد وهو يجيب:

- أعتقد.. أعتقد أنه هو.. إنني لم أنظر إليه أكثر من لحظات كما تعلم.. ووجهه ليس غريبا عني.. إلا إنني لا أستطيع الجزم تماما بأنه هو نفس الرجل الذي ذهبت معه إلى دوار الجامعة..

وضرب الضابط كفاً بكف وهو يقول لصالح:

- يا أخي.. أنت شاب مثقف.. وتعمل في مؤسسة ثقافية كبيرة.. ولا يجوز أن تكون إفادتك هكذا.. واحدة من اثنين.. إما أنه هو.. أو ليس هو.. فماذا تقول؟!

وتعلقت العيون بشفتي صالح ، ما سوف ينطق به ، ولكنه هز رأسه يمينا ويسارا وقال:

- أغلب ظني أنه هو.. ولكنني لا أستطيع الجزم.. إنني لم أره سوى دقائق.. والوجوه يمكن أن تتشابه وزفر الضابط بنفاد صبر وخاطب المدير قائلا:

- والآن.. ما العمل يا معالي المدير؟!

- إللي تشوفه..

أجاب المدير وقد بدأ عليه أنه قد يئس نهائيا من تعليل هذا اللغز..

كان في تقدير المدير أن عبدالكريم هو الشخص المطلوب، بصرف النظر عن مسألة أنه كان صباحا في الرياض أو جدة، فحين جاء الرجل في الصباح إلى مكتبه كان يطلب مقابلته شخصيا ، فلو كان شخصا آخر ينتحل اسم عبدالكريم لما جرؤ على طلب المقابلة لأنه يعرف – بطبيعة الحال – أن المدير يعرف سائقه السابق ولئن لم تسمح الظروف بهذه المقابلة فإن القرائن كلها تشير إلى أن طالب هذه المقابلة هو عبد الكريم ولا أحد سواه..

ولكن المدير لم يشأ أن يزيد الأمور تعقيداً بالإدلاء برأيه هذا وهو رأي منطقي فأكتفي بأن أجاب الملازم تاركا له أن يفعل ما يراه..

- إذا سمحت معاليك.. أنا مضطر الآن لاتخاذ الإجراءات الرسمية.. وعليّ استكمال التحقيق من كل جوانبه، ولذا أستأذنكم في الذهاب لإحضار الأوراق وسأعود بعد نصف ساعة على الأكثر بإذن الله..

وغادر الضابط المكان والمدير يرمقه صامتا..

لقد عبر له الضابط بلباقة واضحة عن مسئوليته في الموضوع..

وألمح ، باللباقة ذاتها أنه يأمل في أن يجد جميع أطراف القضية موجودين في المكان نفسه عند عودته..

وتنهد المدير وهو يتمتم:

- لا حول ولا قوة إلا بالله..

وسأل صالح رئيسه بقلق:

- إيش يقصد الملازم بكلامه يا معالي المدير؟!

- أظن أن كلامه واضح..

ولم يزد المدير على ذلك شيئا ، بل أطرق مفكرا فيما سيعقب ذلك ، لاسيما وأنه متمسك — بطبيعة الحال — بما قرره حول استعداده لتحمل كافة النتائج..

النتائج؟.. لقد كان يظنها نتائج عادية تنقضي بأي مبلغ كان، أما وإن المسألة قد باتت جناية فالأمر مختلف.. ولكن مسؤوليته — برغبته هو — كانت واضحة.. وحتى لو كان عبدالكريم بريئا — استطرد المدير في أفكاره — فإن تدخله هو في الأمر قد سهل للجاني الحقيقي الفرار..

والتفت المدير إلى عبد الكريم قائلا:

- يا عبدالكريم.. الله يهديك.. قل الحقيقة.. قل الحقيقة عشان نعرف نتصرف..

- والله العظيم يا طويل العمر ما قلت غير الحقيقة.. وأني من ستة أشهر ما طبيت جدة.. ولا جيت عند معاليكم.. ولا .. ولا..

واختنق صوته بالتأثر وهو يتكلم فتوقف وقد بدأ على وجهه ما يعتمل في داخله من ألم نفسي عميق.. وعلق صالح بلهجته المتوترة:

- حاجة تجنن.. أمال مين اللي ارتكب الحادث؟!.. ومين اللي أخذني إلى دوار الجامعة؟! ومين.. وأجاب عبدالكريم مدافعا عن نفسه:

- وأنا إيش عرفني؟!

ورفع المدير يده بحركة يطلب فيها من الاثنين الكف عن هذا الجدل العقيم وقال لهما:

- كفاية.. وأحب أن أقول لكما أن الموقف قد أفلت من يدي.. وليس لدي أدنى فكرة عما يمكنني أن أفعل.. ولنترك الضابط يتصرف..

ومضت الدقائق بطيئة متثاقلة وكل من الثلاثة قد أخلد إلى أفكاره.. المدير يحدث نفسه بأنه ما كان يستطيع أن يفعل إلا ما فعل.. وأنه ما كان بوسعه أن يتأخر عن عون أي إنسان يستطيع مساعدته.. وصالح يتذكر ما حدث معه واضطراره لأول مرة في حياته لركوب سيارة الشرطة والدخول إلى «المنطقة» والإدلاء بأقواله في محضر رسمي ثم الاضطرار مرة أخرى إلى حضور مثل هذا الاجتماع الكئيب ومسئوليته في تسهيل هروب الجاني الحقيقي إذا كان عبدالكريم هذا ليس هو الجاني..

وعبدالكريم.. كان يفترسه القلق فهو لا يدري تماما حتى الآن ماذا جرى وما هو دوره في المشكلة التي يتحدثون عنها وإن بدا له أنه مسؤول عنها بشكل أو بآخر لدرجة أنهم طلبوا إليه التوجه إلى جدة على جناح السرعة.. وكان أشد ما يؤلمه أن مخدومه السابق لم يعد يعامله بالعطف الذي اعتاده منه في الماضي مع أنه لم يرتكب ذنبا ولا أتى إثما..

ونظر صالح إلى ساعته فوجد أنه قد انقضى ربع ساعة منذ أن غاب الضابط وبدت له هذه الدقائق وكأنها ساعات طوال.. وتمنى — لدهشته — لو عاد الضابط بسرعة ليتخلص مما هو فيه من قلق وتوجس.. وفجأة رن جرس التليفون ، ورفع الثلاثة رؤوسهم كأنما نبههم الرنين من خواطرهم..

وتناول المدير السماعة ليأتيه صوت الضابط عبر الأسلاك قائلا:

- يا معالي المدير.. أنا آسف لإزعاجك.. وآسف لكل ما جرى اليوم.. أرجو أن تعتبر الموضوع منتهيا.. وهتف المدير بدهشة شديدة:

- ماذا تقول؟!

- لقد قبضنا على الجاني الحقيقي.. وانتهى الأمر..

- قبضتم على الجاني الحقيقي؟!.. و.. عبدالكريم.. و... الحادث.. و....

وأتاه صوت الضابط قائلا بلهجة ضاحكة:

- هذه مسألة تخص معاليكم.. وأعترف لكم أنني .. كضابط شرطة عاجز عن حلها..

وقال المدير بلهفة:

- الحمد لله على كل حال.. ولكن.. أتمنى لو تشرح لي ما حدث..

- كما تريد يا معالي المدير.. دقائق وأكون عندكم..

ووضع المدير السماعة وهو يقول لنفسه بصوت خافت:

- عجيب..

وكأنما كانت هذه المكالمة الهاتفية عصا سحرية أزاحت جو الكآبة الذي كان يسيطر على المكان ، فما أن وضع المدير السماعة وأوجز لسامعيه ما قاله الضابط حتى تهلل وجهه صالح وهو يقول:

- الحمد لله ... الحمد لله..

وقال المدير باسما:

- ولكن.. لا تنسى أن للموضوع وجها آخر..

- أي موضوع؟!

- موضوع عبدالكريم.. وحضوره إلى مكتبي.. و..

- آه .. أرجوك.. ما عدت أستطيع التفكير..

وقال السائق بلهجة أسف عميقة:

- إذن فمعاليك لا تصدقني بعد؟!.. لقد أقسمت لكم بالله العظيم على أنني كنت في الرياض.. وربت صالح على كتف عبدالكريم ملاطفا وهو يقول:

- بسيطة.. بسيطة يا أخ عبدالكريم.. أقول لك الحق.. إنني لست متأكدا فعلا من أنك أنت الذي كان معي هذا الصباح.. ولم أشأ أن أحمل ضميري مسؤولية اتهامك مع وجود هذا الشك.. ولكن إذا سألتني رأيي الخاص أقول لك الآن وأمام

معالي المدير إنني لو أردت الترجيح لقلت إنك أنت الذي جاء صباحا إلى الجامعة..

وحاول السائق أن يدافع عن نفسه مرة أخرى ولكن المدير أسكت الاثنين حامدا الله على ما انتهت إليه الأمور..

وحين جاء الضابط ، أوجز ما حدث في عبارات قليلة..

- لقد لاحظت إحدى سيارات شرطة المرور سيارة سوداء اللون تسير بسرعة جنونية فتبعتها وهي تطلق «الونان» إشارة لسائقها بأن يتوقف ، ولكنه زاد من سرعته بصورة أثارت ريبة الضابط الذي كان يطاردها فمن غير المعقول أن يتمرد سائق على إشارة شرطة المرور بهذه الصورة إلا إذا كان فاراً من شيء تفوق مسؤوليته مسؤولية السرعة الزائدة..

وفي دقائق لحقت سيارة الشرطة بالسيارة الفارة وأجبرتها على الوقوف، وكان الفزع المرتسم على وجه سائقها يدل على صحة استنتاج الضابط ، وسرعان ما تأكد هذا الاستنتاج حينما حاول السائق على الفور تبرير فراره بعد أن ارتكب حادث الدهس عند دوار الجامعة ، وكانت هذه معلومات جديدة بالنسبة لضابط المرور ، فاقتاده إلى «المنطقة»..

واستطرد الضابط في حديثه:

- وحيث إنني كنت قد أبلغت غرفة العمليات بأنني وضعت يدي على معلومات تتعلق بحادث دوار الجامعة بسبب إفادة الأخ صالح ، فقد استدعى الأمر بعض الوقت حتى استطاع الزملاء الضباط الربط ما بين صاحب السيارة الجانية والحادث الذي كنت أتولى التحقيق فيه...

والتفت الضابط إلى عبدالكريم ثم خاطب المدير قائلا:

- بالمناسبة.. لقد رأيت الجاني.. ولا يوجد أدنى شبه بينه وبين الأخ عبدالكريم..

وشد المدير على يد الضابط شاكرا ثم التفت إلى عبد الكريم قائلا بلهجة مداعبة:

- والآن يا عبدالكريم.. إلا تفسر لي كيف جئتني صباحا في جدة بينما كنت أنت في الرياض؟!.. وفتح عبدالكريم فمه يريد أن يدافع عن نفسه ، فضحك الضابط وقال وهو يودع المدير..

- أتمنى لو أعلم تفسير هذا اللغز يا معالي المدير؟!..

وتنهد الجميع ارتياحاً ، فقد انتهت الأمور ولله الحمد على خير.. ولكن «اللغز» لم يحل.. وراح المدير يطيب خاطر عبدالكريم الذي لم تكن دهشته تقل عن دهشة الآخرين بعد أن فهم حقيقة الموضوع..

ووضع في جيبه «الإكرامية» التي قدمها له المدير وهو يقول:

- لا إله إلا الله مقسم الأرزاق.. يقينا أن الله تعالى قد كتب لي هذا المبلغ فجرى ما جرى لتكرمني.. وأرجو أن تثق يا معالي المدير بأنني صادق كل الصدق في كل ما قلته وأنني لم أزر جدة منذ ستة أشهر..

ومضت بضعة أسابيع، نسي المدير خلالها ما جرى في غمرة مشاغله ، وإن لم يكن يتمالك نفسه أحيانا من التفكير في ملابسات الحادثة التي انتهت بدون حل بالنسبة إليه، لاسيما وأنه اعتاد أن يثق بشعوره الشخصي تجاه الحوادث والأشخاص على السواء ، فإذا كانت القرائن قد ألقت ظلالها من الشك حول عبدالكريم فإن ثقته الشخصية به ودفاع الرجل عن نفسه برنة الصدق الواضحة فيه قد جعلاه يرجح براءته وأن للموضوع تفسيرا آخر غير ما تدل عليه ظواهر الأمور..

وجاءه التفسير بعد تلك المدة على غير توقع..

فقد دخل عليه صالح ذات يوم وهو يقول بشيء من الانفعال:

- معالي المدير.. السائق عبدالكريم يطلب مقابلتك..

فرفع المدير نظره إليه وابتسم قائلا:

- تاني؟!

- دعه يدخل..

وخرج صالح بسرعة ، ولم يلبث الباب أن فتح ودخل عبدالكريم ومعه شخص آخر كان يلف وجهه بغترته وقد بدأ التردد في خطواته..

وتكلم عبدالكريم بعد أن بادل مخدومه السابق بالسلام:

- يا معالي الشيخ.. لقد أكدت لك من قبل إنني لم آت إلى جدة منذ..

فقاطعه المدير قائلا:

- ما انتهينا خلاص من هذه المسألة...

- أرجوك.. دعني أشرح لك الأمر.. هذه هو الرجل الذي جاءكم باسمي..

وأشار إلى الرجل الذي كان يرافقه ، وأزاح بنفسه الغترة عن وجهه وهو يردف:

- إنه أخي التوأم.. وهو يقيم غالباً في ديرتنا.. وقد اعترف لي بأنه هو الذي جاء إليكم زاعماً أنه أنا.. ومدعياً أنه ارتكب حادثا.. وأخذ ما أعطيتموه من مال..

واستدار المدير إلى ظهر كرسيه وراح ينقر بأصابعه على طاولة المكتب وهو يقول:

- آه .. هذا هو ما كنت أجهله.. لم أكن أعرف أن لك توأما يشبهك.. الآن وضح كل شيء.. وأطرق الأخ في خجل بينما استطرد عبدالكريم يقول بعفوية صادقة:

- منذ ذلك اليوم وأنا أتساءل عن تفسير لما جرى.. أقول لكم الحق يا معالي الشيخ.. لم يخطر ببالي بادئ الأمر أن يكون أخي هو الذي فعلها.. ولكنني كنت متألما أشد الألم لما شعرت به من أن ثقتكم بي لم تعد كما كانت.. وذات يوم.. كده إلهام من الله .. تذكرته.. وعزمت على أن أتقصى الحقيقة منه.. فاستأذنت من الدكتور صلاح وذهبت إلى الديرة فوجدته وطلبت منه أن يقول لي الحقيقة.. حاول الإنكار في البداية ولكنني حين رويت له نبأ الورطة التي وقعت فيها وأن الأمر لم يعد مجرد تلاعب منه وإنما اتهام في حادث دهس تسبب في قتيل.. وأن الجاني الحقيقي قد اكتشف.. عندها بكى واعترف لي بأنه هو الذي جاء إلى مكتبكم مستغلا الشبه بيني وبينه.. وكان ما كان..

وساد الصمت برهة ، بدأ فيها أن توأم عبدالكريم يشعر بالخجل الشديد لدرجة لم يعد قادرا معها على الكلام..

وقال عبدالكريم مكملا حديثه:

- لقد أقنعته بضرورة الحضور معي لكي يعتذر لمعاليكم من جهة.. وليقدم لكم دليل براءتي من جهة ثانية وهاهو الآن أمامكم يرجوكم الصفح والمعذرة.

وتنهد المدير ، وعجب كيف لم يخطر بباله مثل هذا التفسير المتناهي في بساطته وقال وهو يبتسم:

- حقا.. إن الحقيقة كثيرا ما تكون أغرب من الخيال.. إن ما يدهشني يا عبدالكريم هو تلك المصادفة الغريبة في أن يتوافق ادعاء أخيك مع وقوع تلك الحادثة في نفس الوقت..

والتفت المدير إلى الأخ قائلا في لهجة عتاب:

- إنك لم تكن بحاجة لأن تختلق تلك القصة وتنتحل شخصية توأمك.. وكان بوسعك أن تعرفني على نفسك وتطلب مني ما طلبت..

فهمس الرجل وهو مطرق في خجل:

- المسامح كريم يا معالي الشيخ..

وإذ نهض الشقيقان ليغادرا المكتب ناداهما المدير وهما يهمان بالخروج:

- أقول.. احكوا الحكاية للأخ صالح.. لأنه يوشك أن يفقد عقله كلما فكر كيف استطعت يا عبدالكريم أن تأتي إلى هنا في جدة وأنت لاتزال .. في الرياض..

وتبسم الجاني وأرخى رأسه وهو يقول:

- أنا لم أذهب إلى الرياض ولم أكن يوما في الرياض ولكن أعرف أن أخي عمل عندك لسنوات ولذلك عندما رأيت الحادث وأنا طفران فقران ليس في يدي أي شيء وسوس لي الشيطان بأن أحضر إلى مكتبك وألّفت حكاية العائلة أنهم جاءوا معي من الرياض وجمعت نساء من الذين كانوا يبيعون اللوز والأغراض في مكان الحادث وادعيت أنهم الأسرة التي حضرت معي ثم هربت بالمبلغ الذي أخذته من صالح بدعوى تسفير أهلي إلى الرياض..

هذه هي القصة يا سيدي وليس لي إلا أن أطلب العفو والمسامح كريم.. وقد شعرت بالألم بعد الحادث وإني شوهت سمعة أخي وأسأت إليك وأنت رجل أحسنت لنا ولأسرتنا وأنا خربت الأخ صالح وأوقعته في دوامة ولا حول ولا قوة إلا بالله..

والتفت المدير إلى صالح وهو يبتسم:

- هل فهمت يا صالح؟!

- والله سامحني يا معالي المدير هذا شيء يحير .. ولكن أحلق دقني إذا أنا رحت أفزع لأحد بعد كذا لأنه أهل الحارة يقولون: «إردب ما هو لك لا تحضر كيله .. يتغبر دقنك وتتعب في شيله»

الفهرس

1. الإهـــداء 7
2. أما قبـــل 9
3. تقديـــم 11
4. زوجة خارج الهيئة 13
5. امرأة تقود لوري 15
6. دادة سعدو 23
7. المطرقة والجدار 31
8. مدام سيجر 37
9. لص له قلب 43
10. فتاة ترقص الديسكو 51
11. زوجة فوق السطوح 61
12. أجراس الكنيسة 65
13. بنات العمدة 71

14. جابوا العيد جابوه 79
15. مارجريت في دكة العبيد 91
16. جندي 707 103
78. عمر ولد الفران 107
18. سلمى في جزيرة البياض 113
19. شاب يحمل غمدا 123
20. الشغالة ونزوة عُمر 133
21. العم حسنين بائع الخردة 139
22. أولاد حارة البحر 153
23. حادثة عند دوار الجامعة 165
24. الفهرس 201

إصدارات نادي جدة الأدبي

• الإصدارات التي كانت من 1395 إلى 1399هـ:

1 – قمم الألمب «شعر» للأستاذ/ محمد حسن عواد (نفد)1395 هـ.

2 – الساحر العظيم «ملحمة شعرية» للأستاذ/ محمد حسن عواد (نفد) 1395هـ.

3 – عكاظ الجديدة «شعر» للأستاذ/ محمد حسن عواد (نفد) 1396هـ.

4 – الشاطئ والسراة «شعر» للأستاذ/ محمود عارف، ضم إلى مجموعته الكاملة 1404هـ.

5 – عالم البحار «الأسماك والطيور والجزر في البحر الأحمر» العقيد متقاعد صالح بن مشيلح (نفد) 1396هـ.

6 – من شعر الثورة الفلسطينية «شعر» للأستاذ/ أحمد يوسف الريماوي (نفد) 1396هـ.

7 – أنين وحنين «شعر شعبي» للأستاذ/ الشريف منصور بن سلطان 1397هـ.

8 – محرر الرقيق «سليمان بن عبدالملك» للأستاذ/ محمد حسن عواد (نفد) 1397هـ.

9 – من وحي الرسالة الخالدة «مقالات إسلامية» للأستاذ محمد علي قدس (نفد) 1399هـ.

10 – طبيب العائلة، د. حسن يوسف نصيف (نفد) 1399هـ.

11 – المنتجع الفسيح «حلم عربي» للأستاذ محمد حسن عواد (نفد) 1399هـ.

12 – مذكرات طالب، ط3 ، للدكتور حسن يوسف نصيف (نفد) 1399هـ.

• **الكتب التي صدرت من عام 1400هـ:**

1 – ورد وشوك، ط 2 «مطالعات أدبية» للأستاذ/ حسن عبدالله القرشي، 1400هـ.

2 – شمعة على الدرب «مقالات أدبية» للدكتور عارف قياسة 1401هـ.

3 – في معترك الحياة «مقالات ونقد» للأستاذ/ عبدالفتاح أبو مدين 1402هـ.

4 – أطياف العذارى «شعر» للأستاذ/ مطلق مخلد الذيابي 1402هـ.

5 – كبوات اليراع «الجزء الأول، تصويبات لغوية» للشيخ أبي تراب الظاهري 1402هـ.

6 – الوجيز في المبادئ السياسية في الإسلام، للأستاذ/ سعدي أبوجيب 1402هـ.

7 – أوهام الكتاب «تصويبات لغوية» للشيخ أبي تراب الظاهري 1402هـ.

8 – علي أحمد باكثير، حياته وشعره الوطني والإسلامي للدكتور/ أحمد السومحي 1403هـ.

9 – عندما يورق الصخر «شعر» للأستاذ/ ياسر فتوى 1403هـ.

10 – الكلب والحضارة «قصص قصيرة» للأستاذ/ عاشق الهذال 1403هـ.

11 – اغتيال القمر الفلسطيني «شعر» للأستاذ/ أحمد مفلح 1403هـ.

12 – شعر أبي تمام «دراسة أدبية» للأستاذ/ سعيد مصلح السريحي 1404هـ.

13 – حروف على أفق الأصيل «شعر» للأستاذ/ حمد الزيد 1404هـ.

14 – شواهد القرآن – الجزء الأول – للشيخ أبي تراب الظاهري 1404هـ.

15 – أريد عمراً رائعاً «شعر» للأستاذ/ عبدالله محمد جبر 1404هـ.

16 – المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر محمد إبراهيم جدع 1404هـ.

17 – الذيابي تاريخ وذكريات – إعداد الشريف منصور بن سلطان 1404هـ.

18 – بقايا عبير ورماد «شعر» للأستاذ/ محمد هاشم رشيد 1404هـ.

19 – محاضرات النادي «الجزء الأول» 1404هـ.

20 – من أدب جنوب الجزيرة «دراسة» للأستاذ محمد بن أحمد العقيلي – 1404هـ.

21 – غناء الشادي – مطلق مخلد الذيابي – 1404هـ.

22 – التشكيل الصوتي في اللغة العربية – للدكتور سلمان العاني – 1404هـ.

23 – ترانيم الليل «المجموعة الشعرية الكاملة» للشاعر محمود عارف (جزءان)، طبع في عام 1404هـ.

24 – المتنبي شاعر مكارم الأخلاق – للأستاذ محمد بن أحمد الشامي – 1404هـ.

25 – هموم صغيرة «أقاصيص» للأستاذ محمد علي قدس – 1404هـ.

26 – نغم وألم «شعر» للأستاذ الشريف منصور بن سلطان – 1405هـ.

27 – الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية «دراسة متميزة» للدكتور عبدالله الغذامي – 1405هـ.

28 – أحبك رغم أحزاني «شعر» للدكتور فوزي سعد عيسى – 1405هـ.

29 – أمواج وأثباج – ط 2 «مقالات أدبية» للأستاذ عبدالفتاح أبومدين – 1405هـ.

30 – أحاديث «مقالات ثقافية» للدكتور محمد سعيد العوضي – 1405هـ.

31 – محاضرات النادي «الجزء الثاني» 1406هـ.

32 – التراث الثقافي للأجناس البشرية في إفريقيا «دراسة علمية» للدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر – 1406هـ.

33 – فلسفة المجاز «دراسة لغوية» ط2 – للدكتور لطفي عبدالبديع – 1406هـ.

34 – بكيتك نوارة الفال، سجيتك جسد الوجد «شعر» – عبدالله عبدالرحمن الزيد – 1406هـ.

35 – عبقرية العربية «دراسة لغوية» ط2 – للدكتور لطفي عبدالبديع – 1406هـ.

36 – التجديد في الشعر الحديث «دراسة أدبية» للدكتور يوسف عزالدين – 1406هـ.

37 – مصادر الأدب النسائي «مشروع دليل للأدبية العربية» للدكتور جوزيف زيدان – 1406هـ.

38 – محاضرات النادي «الجزء الثالث» – 1407هـ.

39 – دليل كتاب النادي – «رصيد ببلوجرافي لإصدارات النادي حتى عام – 1405، 1407هـ».

40 – التضاريس «شعر» للأستاذ/ محمد عواض الثبيتي 1407هـ.

41 – صفر «رواية» للأستاذة/ رجاء عالم – 1407هـ.

42 – علم اجتماع اللغة – للدكتور أبي بكر باقادر – 1407هـ.

43 – ديوان علي دمر – المجموعة الشعرية الكاملة – 1407هـ.

44 – أقضية وقضاة في الإسلام – للدكتور كمال محمد عيسى – 1407هـ.

45 – أحبك ولكن «قصص قصيرة» للأستاذة مريم محمد الغامدي – 1408هـ.

46 – وداعاً هالي – للدكتور محمد عبده يماني – 1408هـ.

47 – علم الأسلوب «مبادئه وإجراءاته» – للدكتور صلاح فضل – 1408هـ.

48 – مدخل إلى الشعر الحديث «دراسة نقدية» للدكتور نذير العظمة – 1408هـ.

49 – محاضرات النادي «الجزء الرابع» – 1408هـ.

50 – محاضرات النادي «الجزء الخامس» – 1409هـ.

51 – محاضرات النادي «الجزء السادس» – 1409هـ.

52 – جزر فرسان (إبحار عبر البحر الأحمر) «عالم البحار سابقاً» – صالح بن محمد بن مشيلح الحربي – 1409هـ.

53 – محاضرات النادي «الجزء السابع» – 1409هـ.

54 – اللغة بين البلاغة والأسلوبية «دراسة نقدية» للدكتور مصطفى ناصف – 1409هـ.

55 – شواهد القرآن – الجزء الثاني – للشيخ أبي تراب الظاهري – 1409هـ.

56 – الفكر السيكولوجي «دراسة أدبية» للدكتور حمد المرزوقي – 1409هـ.

57 – مورفولجيا الحكاية الخرافية «ترجمة» للدكتور أبي بكر باقادر والدكتور أحمد نصر – 1409هـ.

58 – طه حسين والتراث «مقالات أدبية» للدكتور مصطفى ناصف – 1410هـ.

59 – ذاكرة لأسئلة النوارس «شعر» للأستاذ عبدالله الخشرمي – 1410هـ.

60 – قراءة جديدة لتراثنا النقدي «بحوث نقدية لعدد من النقاد» جزءان – 1411هـ.

61 – حديث القلم «مقالات أدبية» للدكتور محمد رجب البيومي – 1411هـ.

62 – محاضرات النادي «الجزء الثامن» – 1411هـ.

63 – الوحوش للأصمعي ، تحقيق الدكتور أيمن محمد علي ميدان (كنوز التراث)، 1411هـ.

64 – في مفهوم الأدب لتودوروف «ترجمة» الدكتور منذر عياشي – 1411هـ.

65 – في نظرية الأدب عند العرب – للدكتور حمادي صمود – 1411هـ.

66 – في النص الأدبي «دراسة أسلوبية إحصائية» للدكتور سعد مصلوح – 1411هـ.

67 – شعر حسين سرحان «دراسة نقدية» للأستاذ أحمد عبدالله صالح المحسن – 1411هـ.

68 – محاضرات النادي «الجزء التاسع» – 1411هـ.

69 – محاضرات النادي «الجزء العاشر» – 1411هـ.

70 – حكم الله في الصيد وطعام أهل الكتاب – ط 2 – للأستاذ مختار أحمد العيساوي – 1411هـ.

71 – خصام مع النقاد «مقالات في النقد والأدب» للدكتور مصطفى ناصف – 1411هـ.

72 – لم السفر، نبوءة الخيول «شعر» للأستاذ حسين عجيان العروى – 1412هـ.

73 – ثقافة الأسئلة «مقالات في النقد والإبداع» للدكتور عبدالله الغذامي – 1412هـ.

74 – أدبنا في آثار الدارسين «بحوث في القصة والشعر والنقد» للدكاترة منصور الحازمي، محمد العيد الخطراوي، عبدالله المعطاني – 1412هـ.

75 – تهذيب اللسان وتقويم البنان «تصويبات لغوية» للأستاذ مختار أحمد العيساوي – 1412هـ.

76 – قطرات المداد «مقالات في الأدب» للدكتور محمد رجب البيومي – 1412هـ.

77 – ديوان «عمرو بن كلثوم»، تحقيق الدكتور أيمن محمد علي ميدان – 1413هـ.

78 – كتابة القصة القصيرة، «ترجمة» للدكتور مانع الجهني – 1413هـ.

79 – تجربتي الشعرية، للأستاذ فاروق شوشة – 1412هـ.

80 – علامات استفهام في النقد والأدب، للدكتور علي شلش – 1412هـ.

81 – منهج الإسلام في العقيدة والعبادة والأخلاق، للدكتور أحمد عمر هاشم – 1413هـ.

82 – محاضرات النادي، الجزء (الحادي عشر) – 1413هـ.

83 – مفاهيم إيمانية، للدكتور كمال عيسى – 1413هـ.

84 – أدب الأطفال، للأستاذ/ عبدالتواب يوسف – 1413هـ.

85 – السكر المر، رواية قصيرة، الدكتور عصام خوقير – 1413هـ.

86 – القلب الفاضح، قصص عالمية، ترجمة خالد العوض – 1413هـ.

87 – محاضرات النادي الجزء (الثاني عشر) – 1413هـ.

88 – تأملات في سورة (آل عمران) للدكتور حسن باجودة – 1413هـ.

89 – بين الأدب والسياسة للدكتور عبدالله مناع – 1413هـ.

90 – النشاط التجاري لميناء جدة خلال الحكم العثماني الثاني للدكتور مبارك المعبدي – 1413هـ.

91 – مرافىء الأمل – للدكتور محمد العيد الخطراوي – 1413هـ.

92 – حكايات المداد – (قصص للأطفال) للأستاذ عبده خال – 1413هـ.

93 – أحوال الديار – (مجموعة قصصية) للأستاذ عبدالعزيز مشري – 1414هـ.

94 – عبدالعزيز الرفاعي أديباً، الدكتور محمد مريسي الحارثي – 1414هـ.

95 – المعجم المفسر لألفاظ النبات في القرآن الكريم، للأستاذ مختار فوزي – 1414هـ.

96 – المعارضات الشعرية، دراسة تاريخية نقدية، للدكتور/ عبدالرحمن إسماعيل السماعيل – 1415هـ.

97 – طاقات الإبداع للدكتور عالي سرحان القرشي – 1415هـ.

98 – نظرية التلقي – ترجمة عزالدين إسماعيل – 1415هـ.

99 – تقليب الحطب على النار في لغة السرد – للدكتور سعيد مصلح السريحي– 1415هـ.

100 – نظرية الأجناس الأدبية – تعريب: عبدالعزيز شبيل – مراجعة: حمادي صمود – 1415هـ.

101 – حكاية الفتى مفتاح – عبدالفتاح أبو مدين – 1416هـ.

102 – بين معيارية العروض وإيقاعية الشعر – نماذج من الشعرالقديم – د. عبدالمحسن فراج الفحطاني – 1417هـ.

103 – رائحة المدن – جارالله الحميد – 1418هـ.

104 – حوار الأسئلة الشائكة – محمد علي قدس – 1417هـ.

105 – إنتاج الوهم أو عباءة الثقافة – جاسر عبدالله الجاسر – 1418هـ.

106 – أظافر صغيرة.. وناعمة – فهد العتيق – 1418هـ.

107 – حمزة شحاتة.. ظلمه عصره – عبدالفتاح أبومدين – 1418هـ.

108 – الصخر والأظافر – عبدالفتاح أبومدين – 1418هـ.

109 – دماء الثلج – شعر – أحمد قِرّان الزهراني – 1419هـ.

110 – المدينة المنورة.. البيئة والإنسان – 1419هـ.

111 – أحمد قنديل – حياته وشعره – 1419هـ.

112 – حركة اللغة الشعرية – سعيد السريحي – 1420هـ.

113 – تحليل النص الشعري – ترجمة د. محمد أحمد فتوح – 1420هـ.

114 – مسيرة الأندية الأدبية – 1419هـ.

115 – نظرية التأويل – للدكتور مصطفى ناصف – 1420هـ.

116 – إبراهيم هاشم فلالي – للأستاذ خالد بن سالم الدنياوي – 1421هـ .

117 – هؤلاء عرفت – للأستاذ عبدالفتاح أبومدين – 1421هـ.

118 – كتابات وشهادات – النادي من25 عاماً – 1421هـ.

119 – قضايا وإشكاليات – للدكتور نذير فوزي العظمة – 1422هـ.

120 – مفاتيح القصيدة الجاهلية – للدكتور عبدالله الفيفي – 1422هـ.

121 – ملك وشعب وطموح – أحمد سالم باعطب – 1422هـ.

122 – عهد وإنجاز – هناء قطب – 1422هـ.

123 – الحياة بين الكلمات – عبدالفتاح أبومدين – 1423هـ.

124 – الأدب العربي الحديث – ترجمة – 1423هـ.

125 – محمد علي أفغاني (من رواد المقالة والترجمة والقصة) – د. محمد العيد الخطراوي.

126 – تشكيل المكان وظلال العتبات – معجب العدواني – 1423هـ.

127 – شاعر العهود الثلاثة «عمر بن إبراهيم البري» – عبدالرحمن بن أحمد السبت – 1424هـ.

128 – بعد الحداثة «صوت وصدى» – د. مصطفى ناصف – 1424هـ.

129 – في العلاقات الأدبية بين العرب والغرب – د. صالح جواد الطعمة – 1424هـ.

130 – جماليات العجيب والغريب «مدخل إلى ألف ليلة وليلة» – علي الشدوي – 1424هـ.

131 – آفاق معرفية في الإبداع والنقد والأدب والشعر – د. عزالدين إسماعيل – 1424هـ.

132 – آراء المنفلوطي في شعراء وكتاب عصره – د. حمد بن ناصر الدخيّل – 1425هـ.

133 – رجع البصر «قراءات في الرواية السعودية» – د. حسن النعمي – 1425هـ.

134 – رُفات عقل – حمزة شحاتة – 1427هـ.

135 – الرجولة عماد الخلق الفاضل – حمزة شحاتة – 1427هـ.

136 – ديوان حمزة شحاتة – حمزة شحاتة – 1427هـ.

137 – خطاب السرد – للدكتور حسن النعمي – 1427هـ.

138 – العواد رائد التجديد – للأستاذ محمد علي قدس – 1428هـ.

139 – السيرة الذاتية في المملكة (ببليوجرافيا) للدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الحيدري.

139م – النهاوند – شعر – ياسر حجازي – 1430هـ.

140 – عطش – شعر – منى الغامدي – 1430هـ.

141 – شعرية التواصل – حميد سمير – 1430هـ.

142 – الأعرابي – محمد علي الشيخ – 1430هـ.

143 – لقمة وأموت – علي المجنوني – 1430هـ.

144 – محمد صالح نصيف – الرائد الصحفي – محمد عبدالرزاق القشعمي – 1431هـ.

145 – حركة النقد في الصحافة – فهد محمد الشريف – 1431هـ.

146 – عبدالعزيز السبيل: قراءة في مرحلة – حسن النعمي – الطبعة الأولى– 1431هـ.

147 – عبدالعزيز السبيل: قراءة في مرحلة – حسن النعمي – الطبعة الثانية – 1431هـ.

148 – جدة في العصر المملوكي (648–923هـ/ 1250–1517) – سلوى عبدالقادر السليمان – 1431هـ.

149 – بواعث الشعر في النقد العربي القديم – عقيلة محمد القرني – 1432هـ.

150 – أطياف العذارى – مطلق مخلد الذيابي – 1432هـ.

151 – سردية الشعر – ديواني (الراعي والمطر، قاطع الطريق) – أحمد قنديل – 1432هـ.

152 – الهدهد مر من هنا – محمد عبده يماني – 1432هـ.

- **كتب متخصصة:**
- سلسلة إسلاميات «محاضرات في العقيدة والدين والثقافة الإسلامية» خمسة كتب 1410هـ.

- **علامات «كتاب فصلي في النقد الأدبي»:**

1 – الجزء الأول – المجلد الأول – ذو القعدة 1411 هـ.

2 – الجزء الثاني – المجلد الأول – جمادى الآخرة 1412 هـ.

3 – الجزء الثالث – المجلد الأول – شعبان 1412 هـ.

4 – الجزء الرابع – المجلد الأول – ذوالحجة 1412 هـ.

5 – الجزء الخامس – المجلد الثاني – ربيع الأول 1413 هـ.

6 – الجزء السادس – المجلد الثاني – رجب 1413 هـ.

7 – الجزء السابع – المجلد الثاني – شوال 1413 هـ.

8 – الجزء الثامن – المجلد الثاني – محرم 1414 هـ.

9 – الجزء التاسع – المجلد الثالث – ربيع الآخر 1414 هـ.

10 – الجزء العاشر – المجلد الثالث – رجب 1414 هـ.

11 – الجزء الحادي عشر – المجلد الثالث – شوال 1414 هـ.

12 – الجزء الثاني عشر – المجلد الثالث – محرم 1415 هـ.

13 – الجزء الثالث عشر – المجلد الرابع – ربيع الآخر1415 هـ.

14 – الجزء الرابع عشر – المجلد الرابع – رجب 1415 هـ.

15 – الجزء الخامس عشر – المجلد الرابع – شوال 1415 هـ.

16 – الجزء السادس عشر – المجلد الرابع – محرم 1416 هـ.

17 – الجزء السابع عشر – المجلد الخامس – جمادى الأولى 1416هـ.

18 – الجزء الثامن عشر – المجلد الخامس – رجب 1416 هـ.

19 – الجزء التاسع عشر – المجلد الخامس – ذو القعدة 1416هـ.

20 – الجزء العشرون – المجلد الخامس – صفر 1417هـ.

21 – الجزء الواحد والعشرون – المجلد السادس – جمادى الأولى 1417هـ.

22 – الجزء الثاني والعشرون – المجلد السادس – شعبان 1417هـ.

23 – الجزء الثالث والعشرون – المجلد السادس – ذو القعدة 1417هـ.

24 – الجزء الرابع والعشرون – المجلد السادس – صفر 1418هـ.

25 – الجزء الخامس والعشرون – المجلد السابع – جمادى الأولى 1418هـ.

26 – الجزء السادس والعشرون – المجلد السابع – شعبان 1418هـ.

27 – الجزء السابع والعشرون – المجلد السابع – ذوالقعدة 1418هـ.

28 – الجزء الثامن والعشرون – المجلد السابع – صفر 1419هـ.

29 – الجزء التاسع والعشرون – المجلد الثامن – جمادى الأولى 1419هـ.

30 – الجزء الثلاثون – المجلد الثامن – شعبان 1419هـ.

31 – الجزء الواحد والثلاثون – المجلد الثامن – ذو القعدة 1419هـ.

32 – الجزء الثاني والثلاثون – المجلد الثامن – صفر 1420هـ.

33 – الجزء الثالث والثلاثون – المجلد التاسع – جمادى الأولى 1420هـ.

34 – الجزء الرابع والثلاثون – المجلد التاسع – شعبان 1420هـ.

35 – الجزء الخامس والثلاثون – المجلد التاسع – ذو القعدة 1420هـ.

36 – الجزء السادس والثلاثون – المجلد التاسع – صفر 1421هـ.

37 – الجزء السابع والثلاثون – المجلد العاشر – جمادى الآخرة 1421هـ.

38 – الجزء الثامن والثلاثون – المجلد العاشر – رمضان 1421هـ.

39 – الجزء التاسع والثلاثون – المجلد العاشر – ذو الحجة 1421هـ.

40 – الجزء الأربعون – المجلد العاشر – ربيع الأول 1422هـ.

41 – الجزء الواحد والأربعون – المجلد الحادي عشر – رجب 1422هـ.

42 – الجزء الثاني والأربعون – المجلد الحادي عشر – شوال 1422هـ.

43 – الجزء الثالث والأربعون – المجلد الحادي عشر – محرم 1423هـ.

44 – الجزء الرابع والأربعون – المجلد الحادي عشر – ربيع الآخر 1423هـ.

45 – الجزء الخامس والأربعون – المجلد الثاني عشر – رجب 1423هـ.

46 – الجزء السادس والأربعون – المجلد الثاني عشر – شوال 1423هـ.

47 – الجزء السابع والأربعون – المجلد الثاني عشر – محرم 1424هـ.

48 – الجزء الثامن والأربعون – المجلد الثاني عشر – ربيع الآخر 1424هـ.

49 – الجزء التاسع والأربعون – المجلد الثالث عشر – رجب 1424هـ.

50 – الجزء الخمسون – المجلد الثالث عشر – شوال 1424هـ.

51 – الجزء الواحد والخمسون – المجلد الثالث عشر – محرم 1425هـ.

52 – الجزء الثاني والخمسون – المجلد الثالث عشر – ربيع الآخر 1425هـ.

53 – الجزء الثالث والخمسون – المجلد الرابع عشر – رجب 1425هـ.

54 – الجزء الرابع والخمسون – المجلد الرابع عشر – شوال 1425هـ.

55 – الجزء الخامس والخمسون – المجلد الرابع عشر – محرم 1426هـ.

56 – الجزء السادس والخمسون – المجلد الرابع عشر – ربيع الآخر 1426هـ.

57 – الجزء السابع والخمسون – المجلد الرابع عشر – رجب 1426هـ.

58 – الجزء الثامن والخمسون – المجلد الخامس عشر – ذو القعدة 1426هـ.

59 – الجزء التاسع والخمسون – المجلد الخامس عشر – صفر 1427هـ.

60 – الجزء الستون – المجلد الخامس عشر – جمادى الأولى 1427هـ.

61 – الجزء الواحد والستون – المجلد السادس عشر – جمادى الأولى 1428هـ.

62 – الجزء الثاني والستون – المجلد السادس عشر – شعبان 1428هـ.

63 – الجزء الثالث والستون – المجلد السادس عشر – ذو القعدة 1428هـ.

64 – الجزء الرابع والستون – المجلد السادس عشر – صفر 1429هـ.

65 – الجزء الخامس والستون – المجلد السابع عشر – جمادى الأولى 1429هـ.

66 – الجزء السادس والستون – المجلد السابع عشر – شعبان 1429هـ.

67 – الجزء السابع والستون – المجلد السابع عشر – ذو القعدة 1429هـ.

68 – الجزء الثامن والستون – المجلد السابع عشر – صفر 3029هـ.

69 – الجزء التاسع والستون – المجلد الثامن عشر – جمادى الأولى 1430هـ.

70 – الجزء السبعون – المجلد الثامن عشر – شعبان 1430هـ.
71 – الجزء الحادي والسبعون – المجلد الثامن عشر – ذو القعدة 1431هـ.

• «نوافذ» فصلية تعنى بترجمة الأدب العالمي:
1 – الجزء الأول من نوافذ – 1 – جمادى الأولى 1418هـ.
2 – الجزء الثاني من نوافذ – 2 – شعبان 1418هـ.
3 – الجزء الثالث من نوافذ – 3 – ذوالقعدة 1418هـ.
4 – الجزء الرابع من نوافذ – –4 صفر 1419هـ.
5 – الجزء الخامس من نوافذ – 5 – جمادى الأولى 1419هـ.
6 – الجزء السادس من نوافذ – 6 – شعبان 1419هـ.
7 – الجزء السابع من نوافذ – 7 – ذو القعدة 1419هـ.
8 – الجزء الثامن من نوافذ – 8 – صفر 1420هـ.
9 – الجزء التاسع من نوافذ – 9 – جمادى الأولى 1420هـ.
10 – الجزء العاشر من نوافذ 10– – شعبان 1420هـ.
11 – الجزء الحادي عشر من نوافذ 11– – ذو القعدة 1420هـ.
12 – الجزء الثاني عشر من نوافذ 12– – صفر 1421هـ.
13 – الجزء الثالث عشر من نوافذ – 13 – جمادى الآخرة 1421هـ.
14 – الجزء الرابع عشر من نوافذ – 14 – رمضان 1421هـ.
15 – الجزء الخامس عشر من نوافذ – 15 – ذو الحجة 1421هـ.
16 – الجزء السادس عشر من نوافذ – 16 – ربيع الأول 1422هـ.
17 – الجزء السابع عشر من نوافذ – 17 – رجب 1422هـ.
18 – الجزء الثامن عشر من نوافذ – 18 – شوال 1422هـ.
19 – الجزء التاسع عشر من نوافذ – 19 – محرم 1423هـ.

20 – الجزء العشرون من نوافذ – 20 – ربيع الآخر 1423هـ.
21 – الجزء الواحد والعشرون من نوافذ – 21 – رجب 1423هـ.
22 – الجزء الثاني والعشرون من نوافذ – 22 – شوال 1423هـ.
23 – الجزء الثالث والعشرون من نوافذ – 23 – محرم 1424هـ.
24 – الجزء الرابع والعشرون من نوافذ 24– – ربيع الآخر 1424هـ.
25 – الجزء الخامس والعشرون من نوافذ – 25 – رجب 1424هـ.
26 – الجزء السادس والعشرون من نوافذ – 26 – شوال1424هـ.
27 – الجزء السابع والعشرون من نوافذ – 27 – محرم 1425هـ.
28 – الجزء الثامن والعشرون من نوافذ – 28 – ربيع الآخر 1425هـ.
29 – الجزء التاسع والعشرون من نوافذ – 29 – رجب 1425هـ.
30 – الجزء الثلاثون من نوافذ – 30 – شوال 1425هـ.
31 – الجزء الواحد والثلاثون من نوافذ – 31 – محرم 1426هـ.
32 – الجزء الثاني والثلاثون من نوافذ – 32 – ربيع الآخر 1426هـ.
33 – الجزء الثالث والثلاثون من نوافذ – 33 – رجب 1426هـ.
34 – الجزء الرابع والثلاثون من نوافذ – 34 – ذو القعدة 1426هـ.
35 – الجزء الخامس والثلاثون من نوافذ – – 35صفر 1426هـ.
36 – الجزء السادس والثلاثون من نوافذ – 36 – جمادى الأولى 1428هـ.
37 – الجزء السابع والثلاثون من نوافذ – 37 – شعبان – 1428هـ.
38 – الجزء الثامن والثلاثون من نوافذ – 38 – ذو القعدة – 1428هـ.
39 – الجزء التاسع والثلاثون من نوافذ – 39 – صفر – 1428هـ.

• «الراوي» دورية تعنى بالقصة:

1 – الجزء الأول من الراوي – 1 – ذو القعدة 1418هـ.

2 – الجزء الثاني من الراوي – 2 – جمادى الأولى 1419هـ.

3 – الجزء الثالث من الراوي – 3 – ذو القعدة 1419هـ.

4 – الجزء الرابع من الراوي – 4 – جمادى الأولى 1420هـ.

5 – الجزء الخامس من الراوي 5– – صفر 1421هـ

6 – الجزء السادس من الراوي – 6 – رمضان 1421هـ.

7 – الجزء السابع من الراوي – 7 – ربيع الأول 1422هـ..

8 – الجزء الثامن من الراوي – 8 – شوال 1422هـ.

9 – الجزء التاسع من الراوي – 9 – ربيع أول 1422هـ.

10 – الجزء العاشر من الراوي – 10 – شوال 1423هـ.

11 – الجزء الحادي عشر من الراوي – 11 – رجب 1424هـ.

12 – الجزء الثاني عشر من الراوي – 12 – شوال 1424هـ.

13 – الجزء الثالث عشر من الراوي – 13 – ربيع الآخر 1425هـ.

14 – الجزء الرابع عشر من الراوي – 14 – شوال 1425هـ.

15 – الجزء الخامس عشر من الراوي – 15 – رجب 1426هـ.

16 – الجزء السادس عشر من الراوي – 16 – صفر 1427هـ.

17 – الجزء السابع عشر من الراوي – 17 – رجب 1428هـ.

18 – الجزء الثامن عشر من الراوي – 18 – ربيع الأول 1428هـ.

19 – الجزء التاسع عشر من الراوي – 19 – شعبان 1429هـ.

20 – الجزء العشرون من الراوي – 20 – ربيع الأول 1430هـ.

21 – الجزء الحادي والعشرون من الراوي – 21 – رمضان 1430هـ.

22 – الجزء الثاني والعشرون من الراوي – 22 – ربيع الأول 1431هـ.

23 – الجزء الثالث والعشرون من الراوي – 23 – رمضان – 1431.

- **«جذور التراث» دورية تعنى بالتراث وقضاياه:**

1 – الجزء الأول من جذور – 1 – ذو القعدة 1419هـ.

2 – الجزء الثاني من جذور – 2 – جمادى الأولى 1420هـ.

3 – الجزء الثالث من جذور – 3 – ذو القعدة 1420هـ.

4 – الجزء الرابع من جذور – 4 – جمادى الآخرة 1421هـ.

5 – الجزء الخامس من جذور – 5 – ذو الحجة 1421هـ.

6 – الجزء السادس من جذور – 6 – رجب 1422هـ.

7 – الجزء السابع من جذور – 7 – شوال 1422هـ.

8 – الجزء الثامن من جذور – 8 – محرم 1423هـ.

9 – الجزء التاسع من جذور – 9 – ربيع أول 1423هـ.

10 – الجزء العاشر من جذور – 10 – رجب 1423هـ.

11 – الجزء الحادي عشر من جذور – 11 – شوال 1423هـ.

12 – الجزء الثاني عشر من جذور – 12 – محرم 1424هـ.

13 – الجزء الثالث عشر من جذور – 13 – ربيع الآخر 1424هـ.

14 – الجزء الرابع عشر من جذور – 14 – رجب 1424هـ.

15 – الجزء الخامس عشر من جذور – 15 – شوال 1424هـ.

16 – الجزء السادس عشر من جذور – 16 – محرم 1425هـ.

17 – الجزء السابع عشر من جذور – 17 – ربيع الآخر 1425هـ.

18 – الجزء الثامن عشر من جذور – 18 – شوال 1425هـ.

19 – الجزء التاسع عشر من جذور – 19 – محرم 1425هـ.

20 – الجزء العشرون من جذور – 20 – ربيع الآخر 1426هـ.

21 – الجزء الحادي والعشرون من جذور – 21 – رجب 1426هـ.

22 – الجزء الثاني والعشرون من جذور – 22 – ذو القعدة 1426هـ.

23 – الجزء الثالث والعشرون من جذور – 23 – صفر 1427هـ.

24 – الجزء الرابع والعشرون من جذور – 24 – جمادى الأولى 1428هـ.

25 – الجزء الخامس والعشرون من جذور – 25 – ذو القعدة 1428هـ.

26 – الجزء السادس والعشرون من جذور – 26 – صفر 1429هـ.

27 – الجزء السابع والعشرون من جذور – 27 – صفر 1430هـ.

28 – الجزء الثامن والعشرون من جذور – 28 – رجب 1430هـ.

29 – الجزء التاسع والعشرون من جذور – 29 – شوال 1430هـ.

30 – الجزء الثلاثون من جذور – 30 – محرم – 1431هـ.

• **«عبقر» دورية تعنى بالشعر:**

1 – الجزء الأول من عبقر – 1 – جمادى الأولى 1419هـ .

2 – الجزء الثاني من عبقر – 2 – ذو القعدة 1419هـ.

3 – الجزء الثالث من عبقر – 3 – جمادى الأولى 1420هـ.

4 – الجزء الرابع من عبقر – 4 – محرم 1428هـ.

5 – الجزء الخامس من عبقر – 5 – رجب 1429هـ.

6 – الجزء السادس من عبقر – 6 – محرم 1430هـ.

7 – الجزء السابع من عبقر – 7 – رجب 1430هـ.
8 – الجزء الثامن من عبقر – 8 – ربيع الأول 1431هـ.
9 – الجزء التاسع من عبقر – 9 – رمضان 1431هـ.